جامعـــــة 20 أوت 1955 سكيكـــدة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

محاضرات في منهجية العلوم السياسية2

Lectures in Political Sciences Methodology 2

مقدمة لطلبة السنة الأولى علوم سياسية (السداسي الثاني)

إعـــــــداد:

د. فيصـــل بوالجـــدري

السنة الجامعية

2023/2022

"محتــوى المـــادة"

المحور الأول : المنهجية و الملائمة المنهجية

-تصنيف المناهج.

-بناء النماذج.

-بناء النظرية.

المحور الثاني : مناهج علم السياسية.

-المنهج المقارن.

- المنهج الوصفي : دراسة حالة - المسح الاجتماعي.

-المنهج التاريخي.

-المنهج التجريبي شبه التجريبي غير التجريبي

-المناهج الكمية.

المحور الثالث : الإقترابات المنهجية

-الاقتراب النسقي.

-البنائية الوظيفية.

-اقتراب الجماعة.

-اقتراب النخبة

-اقتراب الطبقة

-اقتراب صنع القرار

-اقتراب الاقتصاد السياسي

تمهيـــد:

تحاول هذه المطبوعة البيداغوجية تقديم كمّ من المعارف والمهارات المطلوبة والمقررة على طلبة السنة الأولى علوم سياسية، وهي تعنى بمحاور السداسي الثاني وفق ما جاء في عرض التكوين الخاص بالقاعدة المشتركة قبل دخول السداسيين الثالث والرابع من السنة الثانية، تحضيرا للولوج في التخصص خلال السداسيين الخامس والسادس.

لا يخفى على جميع المشتغلين بالبحث العلمي ما لمادة منهجية البحث من قيمة. ويتم إسقاط أهمية هذه المادة بالتساوي وبشكل تنازلي لكي يكون علم المنهجية من علوم الآلة التي تحتاجها كل العلوم والحاجة إلى المنهجية ملحة لكل فرع علمي من فروع العلوم الطبيعية و/ أو الاجتماعية. وفي صدد العلوم السياسية، تبرز مادة منهجية البحث في علم السياسة خلال السداسي الثاني من هذه السنة الأولى كقطعة أساسية تستهدف تلقين ثم تنشئة الطالب على ما يعرف بالملاءمة المنهجية وحسن الاختيار من بين مجموع ما يتوفر في الحقل من مناهج ومقاربات ونماذج تحليلية على كثرتها.

إذا أدرك الباحث هذا الأمر، فهم المبرر العلمي لتشكيلة محاور هذه المادة خلال هذا السداسي. لنأخذ مثالا بتعريف المنهج الذي هو مجموعة القواعد المصاغة من أجل الوصول إلى الحقائق في العلم، فإن التعريف في حد ذاته سوف يشكل عقبة أمام الطالب المبتدأ. وأول سؤال قد يواجه به الطالب أستاذه، ليس هو طلب معرفة تلك القواعد المصاغة فقط، بل المشكلة في سؤال **كيف أختار** أحسن القواعد لأطبقها على مواضيع وظواهر تخصصي؟ هنا جاء الجواب في شكل عنوان محور بأكمله تحت مسمى " الملاءمة المنهجية".

إذا كانت المنهجية تنقسم إلى ثلاث أقسام رئيسية، شكلية وإجرائية وموضوعية، فإن محاور هذه المادة جاءت لتستهدف القسم الثالث بالأساس، إنها المنهجية الموضوعية التي يتدرّب فيها الباحث والطالب على طريقة التحليل والاختيار بين المتغيرات والتفكيك والتركيب، وقبل ذلك حسن الاسترشاد بالأساليب المنهجية والمقاربات التحليلية. فنجد مواضيم مثل تصنيف المناهج وبناء النماذج، وبنية النظريات. ويعمل تلقي عناصر المحور الثاني على تسريع وثيرة صقل تلك المهارات عبر تزويد الطالب بتوليفة من الأساليب المنهجية الجاهزة التي يمكن أن يختار من بينها كبدائل خادمة لأغلب المواضيع قادرة على حل معظم المشكلات البحثية في العلوم السياسية. وإذا احتاج الطالب إلى دليل نظري تحليلي فسيجد ضالته في مكونات المحور الثالث، تحت مسمى الاقترابات التحليلية في علم السياسية.

هناك سيجد مزيجا من المداخل والنماذج الشهيرة التي تعينه من حيث موقعها كوسائط بينه وبين ما يريد طرقه من مواضيع وما يريد فهمه مما أشكل من ظواهر. وقد امتازت المقاربات المقررة عليه هنا بالمزج بين التقليدية والحديثة، السلوكية وما بعد السلوكية.

امتازت محاضرات هذه المادة بتحري الدقة، وتمت مراعاة جوانب الوضوح والاختصار لتسهيل عملية التلقي والترغيب في الإقبال على مواضيع المنهجية التي تفتقر جامعاتنا إلى بحوث أصيلة ومثمرة لغياب التكوين المنهجي السليم. فالله أرجو أن ينفع به الطلاب و الله أسأل الأجر والقبول والتواب.

المحور الأول:

المنهجية والملائمة المنهجية.

تصنيف المناهج

بناء النموذج

بناء النظرية

تتفق العلوم جميعها في اتجاهاتها الأساسية ووجهة نظرها العامة تجاه الظواهر التي تعالجها، وكذلك الأهداف العامة التي ترمي إليها من وراء دراستها لتلك الظواهر،وتتمثل هذه الأهداف في الكشف عن طبيعة الظواهر وما تخضع له من قوانين. وبالتالي فاتفاقها في ما ذكرنا يوجب عليها أن تتفق في منهج البحث العلمي، وذلك تماشيا مع ثلاثية الشروط المعروفة بـ: **الموضوع والمنهج والهدف** . بناء عليه فقد كان من بين مناهج البحث بعض طرق تستخدم في مختلف فروع العلوم ويطلق على هذه الطرق إسم "الطرق العامة" أو "**مناهج البحث المشتركة**" [1] ولكن ألا يعتبر هذا القول منافيا لموضوع الملائمة المنهجية؟

يوضح نجيب الحصادي مسألة الملاءمة المنهجية بالقول: " **إن استقراء المناهج التي يطبقها العلماء بالفعل، ليس إلا وسيلة لمعرفة البدائل المطروحة القابلة للتطبيق العملي، بيد أنه لا يفضي إلى أية تقريرات معيارية**."[2] بمعنى لا ينتهي إلى الحكم بالأفضلية لأحدها على الآخر. كما ويربط الدكتور " نجيب الحصادي" مسألة الملاءمة المنهجية بتحقيق غاية النشاط العلمي. إذن يمكن القول بأن المنهج العلمي في أصله واحد منذ عملية التركيب بين الاستقراء والاستنباط بالشكل الذي أنتج خطوات هجينة أفرزت منهجا علميا متفق على قواعده الكبرى. إلا أن التعدد فيه راجع لاختلاف طبيعة المواضيع التي تدرسها العلوم طبيعية كانت أو اجتماعية- إنسانية. لتبقى قاعدة **العلم بمنهجه لا بموضوعه** تحمل معنى هذا وذاك، بمعنى أن المنهج العلمي - بالمعنى الغربي- واحد، ولكن له تفريعات عديدة.

لكل مجموعة من العلوم، وحتى لكل فرع أو تخصص من داخل مجموعته، **موضوعات** معينة ومرامي خاصة تمتاز بها المجموعة عما سواها من المجموعات. كما يمتاز كل فرع من الفروع في كلا المجموعتين – الطبيعية أو الاجتماعية- عما عداه من الفروع والتخصصات الأخرى. فحدث أن استخدم كل فرع في داخل تخصصه – فضلا عن الطرق العامة والتوجه الكبير للعلوم في مجملها- طرقا خاصة تماشيا مع طبيعة الظواهر والموضوعات التي يدرسها، والأهداف الفرعية التي يصبوا إلى تحقيقها من خلال التقصي العلمي، وفي كل ذلك تحقيقا للملاءمة المنهجية. فنرى أن التخصص العلمي الواحد قد يستخدم في دراسته لموضوع واحد من موضوعاته، بل وحتى لمشكلة بحثية واحدة، أو لأحد أبعادها طرقا ومناهج لا يستخدمها، ولا يمكنه استخدامها في موضوع آخر أو مشكلة بحثية أخرى

[1] عاطف علبي، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، ص، ص. 12،13.
[2] نجيب الحصادي، نهج المنهج، (مصراطة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، د ت)، ص. 121.

ضمن موضوعه الكبير من العلم نفسه. وقد أطلق على هذه الطرق الخاصة: مناهج البحث الخاصة أو الفرعية،[3] وهي ذاتها التي سيتم تناولها في العنصر الأول تحت مسمى تصنيف المناهج.

الأمر الذي يصدق على المناهج أو الأساليب والطرق البحثية، يصدق على تقنيات وأدوات البحث، ومنه على الاقترابات والمداخل التحليلية. ذلك أن كل ما سمته التعدد والتفرّع يجب أن أن يمرّ عبر ميزان الملاءمة المنهجية احتراما لخصوصية الفروع والتخصصات العلمية. وكذا تماشيا مع قاعدة انقياد المشكلات البحثية للمناهج والاقترابات بطريقة انتقائية موضوعية دون إهمال لشرط القدرة التحليلية للمنهج والاقتراب والنظرية.

[3] عاطف علبي، مرجع سابق، ص. 13.

1/ المنهج وتصنيف المناهج:

"إن المعرفة الواعية بمناهج البحث العلمي تمكّن العلماء الباحثين من إتقان البحث وتلافي كثير من الخطوات المتعثرة أو التي لا تفيد شيئا"

د/ عبد الرحمن بدوي.

أصل كلمة منهج أو "أصل المنهج":

يرتبط تاريخ المنهج بتاريخ التفكير، ذلك أن البحث يعني التفكير، والمنهج يعني الطريقة، وكل تفكير مهما كانت طبيعته، لابد من اعتماده على طريقة تساعده في الوصول إلى نتيجة. ومن هنا ذكر الأستاذ " **عبد الهادي الفضلي**" مثلا بأن المنهج كان توأم التفكير في الولادة والمنشأ، فهو قديم قدم التفكير.[4]

وإذا كان التفكير الإنساني قد مر بمراحل ثلاثة هي على التوالي: " **الأسطورة والفلسفة والعلم** " فإننا سنتوقف عند مرحلة الفلسفة، باعتبارها مهد المنهج بالمفهوم الغربي.

فالفلسفة تعنى بدراسة المبادئ الأولى للأشياء وحقائقها وعلاقة بعضها ببعض، ويقال أنها كانت تشمل العلوم جميعا، لكن سرعان ما انفصلت عنها العلوم الرياضية، ثم لحقتها سائر العلوم الأخرى، حتى اقتصرت دراسة الفلسفة على المواضيع التالية:

- المعرفة. Epistimology
- الوجود. Ontology
- القيم الثلاث (الحق والخير والجمال). Actiology

وضمن هذه القيم الفلسفية الثلاثة، اختص **علم المنطق** بدراسة **قيمة الحق**؛ وعلم الأخلاق بدراسة قيمة الخير؛ وأخيرا علم الجمال أو الفن بدراسة قيمة الجمال. وكان **علم المنطق** يمثل منهج

[4] عبد الهادي الفضلي، أصول البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 13.

التفكير، حيث يعنى بدراسة قواعد التعريف وقواعد الاستدلال، **وقواعد تنظيم العلوم**، هذه الأخيرة هي التي استقلّت فيما بعد باسم " **مناهج البحث**" .

إذن كانت **مناهج البحث** التي ولدت في أحضان الفلسفة فرعا من المنطق، وجدير بالذكر أن منهج الفلسفة الأساسي هو المنهج المنطقي العقلي الذي اكتسح تلك المرحلة من تطور الفكر الإنساني وأصبح بذلك طريقة التفكير الوحيدة.

لقد اتضح إذن سر اهتمام المناطقة بمسألة المنهج كجزء من أجزاء المنطق. ومن بين أهم المحاولات الواضحة التي ميّزت عصر النهضة في هذا المجال، نجد ما قام به " راموس" Ramus (1515-1572) ، فقد قسّم المنطق إلى أربعة أقسام هي التصور، والحكم، والبرهان، **والمنهج**.[5]

لكن سرعان ما بدأت إرهاصات الانتقال إلى مرحلة جديدة تميز طريقة التفكير الإنساني، ونقصد بها مرحلة **العلم** باعتباره المعرفة المنظمة والمنسقة المبنية على الملاحظة والاختبار أو التجريب.

يذكر الباحثون بأن هذه المرحلة الجديدة من مراحل تطور الفكر الإنساني وما صاحبها من طريقة أو منهج للتفكير قد مهّد لها حلول عصر الفلسفة الحديثة في مقابل الفلسفة القديمة التي انحصر مجالها آنذاك في الانشغال بالميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة. وهي هنا عبارة عن إنذار بانحصار المنهج الفلسفي العقلي المحض الذي تزعمه أمثال كل من ديكارت وسبينوزا ولايبنيتز.

وللإشارة فقد حاول ديكارت أن يكتشف المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، كما يدل على ذلك عنوان كتابه " مقال في المنهج " وذلك سنة 1637.

بدأت هذه المرحلة الجديدة مع الفلاسفة التجريبيين الذين قالوا: "إن أصل المعرفة هو التجربة لا العقل". في طليعة هؤلاء نجد " جون لوك ودافيد هيوم. أما "فرانسيس بيكون " فقد كان أول هؤلاء من حيث السعي نحو تكوين المنهج، ففي كتابه " الأورغانون الجديد" الصادر سنة 1620، صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح.

لذلك، تكوّنت ابتداء من القرن السابع عشر فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه على يد **بيكون وكلود بيرنارد** وغيرهما من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي والمنهج الاستدلالي.

[5] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 4.

وأصبح معنى اصطلاح المنهج هو " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

بمقاربة تبسيطية أكثر، يستخدم اصطلاح مناهج البحث في معناه الواسع ليشير إلى دراسة القواعد التي يسترشد بها الباحث عند القيام بالبحث العلمي ، حيث يتضمن ذلك دراسة تقسيم طرق وأدوات واجراءات البحث العلمي وما قد يؤكد على القيام به ، بذلك تتضح الأهمية العلمية للوظيفة التي يقوم بها منهج البحث ، فنجد أن العلم – أي علم – لا يكون متحدا من خلال مادة موضوعه بقدر ما يكون متحدا من خلال مناهج البحث التي تجعل المدخل العلمي يختلف عن الأشكال الأخرى من المعرفة.

على أنه يجب التنبيه على أن هذه القواعد والإجراءات التي يستند عليها البحث في سبيل الوصول إلى نتائج علمية ليست مغلقة أو معصومة من الخطأ، بل أنّها تتحسّن وتتطور بصورة مضطردة.

تعريف علم المناهج:

المنهج لغة هو الطريق الواضح والسليم وتقابلها باللغة الفرنسية كلمة (Méthode) واصطلاحا يعرف المنهج بأنه «**الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة.**»

وبالنظر إلى أهمية الخطوات المنظمة أثناء القيام بأي عمل تسامح المتخصصون مع من لم تكن لديه قواعد مسبقة تحكم سير عقله في الوصول إلى الحقيقة بشرط أن تكون الخطوات التي يقطعها في سبيل ذلك منظمة ودقيقة ، فهذا حسبهم يتبع **المنهج التلقائي**، وذلك لأن السير الطبيعي للعقل إذا لم تحدد أصوله مسبقا وكان منظما من شأنه أن يسطر لنفسه منهجا من دون الاعتماد على ما هو موجود من قواعد منهجية مسطرة مسبقا، ولكن المنهج التلقائي قد يعرض صاحبه للخطأ، وذلك لأن تفكير شخص واحد ليس كتفكير جمع كبير من علماء المناهج، أما مناهج البحث العلمي فقد جاءت عن طريق دراسات متخصصة من طرف كثير من علماء المناهج لذا فتطبيقها يضفي على نتائج البحوث نوع من الثقة.

ومنه فالمنهج هو مجموعة القواعد والقوانين التي تبين لنا أوجه الخطأ والصواب في خطوات البحث، وطرق البحث عن الحقيقة، والعلم الذي يبحث في المناهج وينتقدها و يضع قواعدها يسمى علم

المناهج وقد أخذ صفة العلم لأنه يحتوي على مبادئ مشتركة بين كافة العلوم أي أن النتائج المتوصل إليها تقبل التعميم كما أنها تتصف بالتجريد.

كما يعرف المنهج العلمي بأنه: «قواعد بسيطة ومؤكدة إذا راعاها الباحث مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ، أو هو بيان القواعد والإرشادات التي ينبغي أن نتبعها لكي نستخدم ملكاتنا العقلية على الوجه الأكمل.»

كما عرف المنهج بأنه: « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون لها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون لها عارفين.»

فعلم المناهج هو العلم الذي يبحث في مناهج البحث العلمي والطرق العلمية التي يكتشفها ويستخدمها العلماء والباحثون من أجل الوصول إلى الحقيقة، ومنه نصل إلى أن علم المناهج هو العلم الدارس والباحث للمناهج العلمية المختلفة.

تكوين المنهج:

لم يخلُ حقل الإبستيمولوجيا من قضايا ومشكلات أخرى متعلقة بالمنهج ذاته، ففي مسألة تكوين المنهج قام جدلا واسعا بين فلاسفة العلم حول مصدرية المعرفة أو منطلق عملية المعرفة العلمية، هل تنطلق من العقل أو من الملاحظة؟

ويعبر الأستاذ " أحمد بدر" عن هذه الإشكالية بمشكلة تكوين علم المناهج، وذلك بسؤاله عن نصيب كل من العالم المتخصص والفيلسوف. بعبارة أخرى، هل الفيلسوف أم العالم هو الذي يضع القواعد للمناهج العلمية؟ ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أن كلا من الأسلوب الاستقرائي الذي يتبعه العلماء التجريبيون عادة، والأسلوب القياسي المنطقي الذي يميل إليه الفلاسفة يكمل بعضهما بعضا في تكوين المنهج العلمي.[6]

بعد هذا الجدل الذي لا ينتهي، يؤكد " أحمد بدر" مثلا على أن المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، وأن العلم الذي يبحث في هذه الطرق هو علم

[6] أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، مرجع سابق ص. 34.

المناهج، وأن هذا العلم قد تكوّن على يد العلماء المتخصصين والفلاسفة المنطقيين، إذ هما يقطعان طريقا واحدة متكاملة إلى المعرفة.[7]

وقد أوضح " محمد طه بدوي هذه التوليفة المركبة من مزايا الاستقرائيين ومزايا الاستنباطيين قائلا: " لابد من العدول عن الفصل بين الاستقراء والاستنباط في مناهج المعرفة... ذلك بأن ثمة التقاء معاصرا بين المعنيين بفلسفة العلوم على أن العلم أضحى يعني العلم التجريبي الذي يجمع في منهجه بين الاستقراء الاختباري والاستنباط الذي يعتمد على التدليل العقلي في آن واحد. إنها إذن المعرفة التي تعتمد على الجمع بين الحس والعقل، أي بين " الاختبارية" و " التدليل العقلي" وهي لذلك اختبارية منطقية « Empirisme logique »

بالنسبة لخطوات المنهج العلمي بهذا الشكل نجد أن عملية المعرفة السائرة على هديه:

- تبدأ بملاحظة سير الظواهر المستهدفة (وفي الملاحظة إعمال للاستقراء)،
- وذلك سيتبع بتصور فرض (فرضية) أولي أو فرض عمل من ثنايا هذه الملاحظة بشأن حقيقة تلك الظواهر (وهذا عمل ذهني).
- ثم يعرض هذا الفرض الأولي على أكبر عدد متاح من حالات الواقع المنتمية إلى نفس الظواهر لاستقرائها في شأن صحته وذلك بالتجريب – أو بالمقارنة في بعض التخصصات- (وهذا من عمل الاستقراء الاختباري)
- حتى إذا ثبت مطابقة ذلك الفرض للواقع، لجأ الباحث إلى تعميم مضمون الفرض الأول بوضعه في "صيغة عامة". وعملية التعميم بهذا المعنى تتمثل في مجموعة عمليات الاستنباط المنطقي البحت التي قوامها الانطلاق من مضمون الفرضية الأولى للتسلسل منها تسلسلا منطقيا بحتا ينتهي بصيغة عامة هي القانون العلمي أو الفرضية العلمية، أو الفرضية المحققة تحقيقا تجريبيا، والتي يمكن التعبير عنها بالنظرية.

وهكذا يقوم منهج العلم التجريبي على مجموعة متداخلة من عمليات استقرائية – استنباطية في آن واحد، ويكون بذلك قد وضع نهاية للصراع التقليدي بين منهجي الاستنباط والاستقراء، وأرّخ للحظة تكوين المنهج العلمي المعاصر ذي النزعة الأيديولوجية الغربية طبعا.

[7] أحمد بدر، المرجع نفسه، ص، ص. 35، 36.

تيبولوجيا المنهج:

يقدم محمد طه بدوي تصنيفا تأصيليا للمنهج يتضمن تعريف المفهوم وتكوينه وخطواته، وذلك في إطار الحديث عن مناهج المعرفة السياسية. وفي ذلك يقول: " تنبه عبارة مناهج المعرفة إلى أمرين " المنهج" و " المعرفة" وتعني لفظة المنهج في الاصطلاح شكل مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها. إن قضايا مناهج المعرفة في مستواها التجريدي الصرف هي بحكم كونها من عمل الذهن، تنتمي للقضايا الفلسفية البحتة، وهي تمثل لذلك **قضايا عامة مشتركة** لشتى مناهج المعرفة بصرف النظر عن التباين في طبيعة المواد أو الظواهر المستهدفة، ومن تم فهي مشتركة بالنسبة لشتى فروع المعرفة.[8]

في توجيه سلس ينقلنا محمد طه بدوي من قضية منطلق عملية المعرفة مصدرها إلى **مناهج المعرفة**. و معلوم أن المصدرين الرئيسيين للمعرفة هما الاستقراء من جهة والاستنباط من جهة أخرى بالشكل الذي رسمه الجدل القائم بينهما منذ القدم. لذلك فالدكتور محمد طه بدوي يستنتج بأن من تلكما الرافدين كان المنهجان الرئيسيان لعملية المعرفة: " **المنهج الاستنباطي**" و "**المنهج الاستقرائي**" فالأول هو مجموعة من الإجراءات الذهنية التي تبدأ من العام متجهة نحو الخاص، بينما في الثاني تبدأ إجراءات عملية المعرفة من الخاص للانتهاء إلى العام.

- **المنهج الاستنباطي** تدور عملية المعرفة كلها في العقل، وإنه بالتدليل العقلي وحده يستطيع الفيلسوف أن يتوصل إلى الحقيقة الكاملة لكل ما يحيط به.

- **أما المنهج الاستقرائي** فإنه يعني عملية المعرفة التي تجعل القول الفصل في شأن حقيقة الظاهرة أو المادة المستهدفة بالبحث هو للظاهرة نفسها. إذ ليس ثمة أصدق من الظاهرة أو المادة المدروسة في التعبير عن حقيقتها. وهذا لا يتأتى إلا من ثنايا اختبارها، أي استنطاقها عن حقيقتها. ومن تم فإن دور الباحث في هذا المنهج الاستقرائي يتوقف عند مجرد الملاحظة لوصف الواقع المستهدف بالحالة التي هو عليها.[9]

[8] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، ص. 243.
[9] محمد طه بدوي، مرجع سابق، ص. 246.

في مساهمة تصنيفية أخرى، يستنتج "عبد الهادي الفضلي" أو ينقل تصنيفا ثلاثيا للمناهج متكوّن من المنهج **النقلي** و**العقلي** وأخيرا المنهج **التجريبي**.[10]

من جهة أخرى، يقر "عبد الرحمان بدوي" بأن المنهج يجب قصره على الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية، وليس في كل شيء. وبحسبه فإنه تبعا لاختلاف هذه العلوم النظرية، تختلف المناهج، ولكنها يمكن أن ترد إلى منهجين هما: **الاستدلال** و**التجريب**، يضاف إليهما منهج ثالث خاص بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية هو منهج **الاسترداد**.[11]

التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي:

يمكن إجمال التصنيفات الحديثة من خلال الرجوع إلى الفقهاء الذين نادوا بها ونتناولها على النحو التالي:

. **تصنيف هويتني(Whitney):** رتب الفقيه هويتني المناهج العلمية على النحو التالي:

1) المنهج الوصفي. 2) المنهج التاريخي.3) المنهج التجريبي. 4) البحث الفلسفي.

5) البحث التنبؤي. 6) البحث الاجتماعي. 7) البحث الإبداعي.

.**تصنيف ماركيز(Marquis):** رتب ماركيز مناهج البحث العلمي على النحو التالي :

1) المنهج الأنثروبولوجي (الملاحظة الميدانية). 2) المنهج الفلسفي. 3) منهج دراسة الحالة.

4) المنهج التاريخي. 5) منهج المسح. 6) المنهج التجريبي.

.**تصنيف جود و سكايتس Good et Scates** : رتب هذان الفقيهان مناهج البحث العلمي إلى:

1) المنهج التاريخي. 2) المنهج الوصفي. 3) منهج المسح الوصفي. 4) المنهج التجريبي.

5) منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينية. 6) منهج دراسات النمو والتطور والوراثة.

كل هذه التصنيفات بالغ أصحابها في تحديد مناهج البحث العلمي حيث أقحموا بعض أنواع البحوث وطرق الحصول على المعرفة والثقافة وكذا بعض أجزاء المناهج الأصلية. إذ يبقى الواقع يشير

[10] عبد الهادي الفضلي، مرجع سابق، ص. 17.
[11] عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، ص، ص. 6، 7.

دائما إلى أن هذه الأنواع المذكورة ما هي إلا أساليب وطرق البحث العلمي المتفرعة عن المنهج العلمي الواحد الذي تم تعريفه وبيان طريقة تكوينه أعلاه. لكن دائما وجهات نظر وجهة تقول بأن هناك مناهج أصلية وأخرى فرعية متفق عليها من طرف العلماء وكتاب علم المناهج وهي على النحو التالي:

المناهج الأصلية : المنهج الاستدلالي. المنهج التاريخي. المنهج التجريبي. المنهج الجدلي أو الدياليكتيكي.

أما المناهج الفرعية: وتظم كل المناهج الأخرى التي لم يتم الاتفاق حول اعتبارها مناهج أصلية ومن بينها المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن وغيرها من مناهج البحث الأخرى.

2/ بناء النماذج النظرية:

يتمتع مصطلح النموذج **Model** بمدى واسع من الاستعمال في شتى الفروع العلمية الطبيعية منها والاجتماعية. ويعتبر النموذج في العلوم الاجتماعية عموما وفي علم السياسة خصوصا من الأدوات الذهنية التحليلية التي يلجأ إليها الباحث حين يعجز عن توظيف أدوات الاستقراء الحي، أو يراها غير كافية لجمع كل المعلومات المتعلقة ببحثه.

دلالة مفهوم النموذج:

عموما، تستعمل كلمة نموذج عندما تكون هناك حاجة للتبسيط، لذلك فهي واسعة الانتشار في العلوم الرياضية والبيولوجيةو الاجتماعية،وبالذات في البحوث ذات الصفة الإجرائية. وبعبارة أخرى فالنماذج تستخدم حينما تكون هناك منظومة معقدة من الوقائع تمت ملاحظتها، بشرط إمكانية التعبير عنها عبر بناء تفسيري وبصورة رياضية دقيقة، مع الحفاظ على الواقع الملاحظ.

بالنسبة للتعريف، يعرّف النموذج إجمالا على أنه حالة في شكل مجموعة مجردة من الأفكار. كما يعرّفه قاموس أكسفورد على انه نسخة مصغرة لشيء حقيقي، أو شيء ما يعبّر عن مثال مناسب نوعا ما لحقيقة معينة.

تعريف الباحث " تشاو" Y. R. Choa " للنموذج العلمي:

قدم " تشاو" توليفة من التعاريف للنموذج نوردها متسلسلة كما يلي:

- إطار مرجعي؛
- وصف لشيء ما؛
- نظير أو شبيه؛
- منهج مقترح للبحث؛
- تمثيل دقيق للشيء المطلوب دراسته؛
- عرض موجز للحالة قيد الدراسة؛
- الإطار العام الذي به نصف الموضوع؛
- صورة تبيّن كيف يعمل النظام؛
- نظرية تفسر تركيب أو بنية شيء ما.

أما على مستوى الدراسات والبحوث في حقل علم السياسة مثلا، فيعرّف النموذج على أنه مجموعة من المفاهيم المترابطة مثل النظرية، لكنه لا يرقى إلى معنى النظرية،[12] فهو صورة مصغرة للواقع المستهدف بالبحث. حيث تساعد عملية بناء النماذج على الحصول على رؤية واضحة لمتغيرات الدراسة، وتقدم إطارا عاما للتحليل يساعد على فهم الظواهر المنمدجة.

أهمية النماذج النظرية في البحث العلمي:

تنبع أهمية أو قيمة النموذج النظري من أهمية وفائدة أدوات البحث العلمي عموما، إذ أن النماذج عبارة عن ادوات علمية ذات طبيعة ذهنية تحليلية تصورية، تأتي لتكمل عمل أدوات الاستقراء الحي للواقع من ملاحظة ومقابلة واستبيان وتجريب وغيرها.

بمزيد من الشرح، تكمن وظيفة النموذج في قدرته التفسيرية وقدرته على الإحلال مكان الظاهرة المدروسة. فاستخدام النماذج يمثل صياغة سهلة للظواهر، يسهل استعمالها ورصدها وضبطها والسيطرة عليها والقيام باستنتاجات حولها. وكل ذلك بدوره يمكن القيام به وإعادة تطبيقه على الظاهرة الحقيقية لمعرفة مدى صدقها وانطباقها على الواقع، والخروج بعد ذلك بقوانين وأحكام عامة.[13]

[12] سعد علي محمود العنزي و عامر علي حسين العطوي، " نماذج البحث في إدارة الأعمال" نقلا عن .http:// www. Researchgate.net

[13] رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، مرجع سابق، ص، ص. 289،290.

غير أن هناك شيئا يتعيّن التنبيه إليه بصدد هذه النماذج، وهو انها لابد أن تكةن مؤقتة من حيث صلاحيتها كأداة للتحليل، شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الادوات كالنظرية والمفهوم أو الفروض العلمية. فهي تبقى صالحة كأداة للتحليل طالما ظلت تعبّر عن الواقع، حتى إذا ما ثبتت مجافاته أو انحرافه عنها تعيّن الانصراف عنها وترك العمل وفق مقولاتها. وإلا كان ذلك مخالفا للموضوعية كالإصرار على استخدامها، وإخضاع الواقع لها عنوة. وفي هذا يقول محمد طه بدوي بأن ذلك يعتبر تجميدا للمعرفة وخروج عن التفكير العلمي.[14]

توطين النماذج في بيئة علم السياسة:

في أصل المفهوم، يلاحظ بأن فكرة النماذج قديمة قدم فكرة النظائر، وتعود إلى القرن الثامن عشر. كما أن تاريخ العلوم حافل بهذه الفكرة. فقد تحدث علماء الذرة مثلا – وذلك في القرن التاسع عشر - عن الذّرة كما لو كانوا يشاهدون حقيقتها وفحواها. وكان " نيلزبور Nels Bore " قد أعطى وصفا لذرة الهيدروجين من خلال تصوره لها، وسمى ذلك الوصف الذي قدّمه " نموذجا Model " للذرة، وليس هو الذرة ذاتها.

يجب التنبيه إلى أن ليست كل الظواهر قابلة للتصور في شكل نماذج. فالحاجة للتبسيط تبقى قائمة دائما، لكن القدرة على ذلك في شكل نموذج تبقى محصورة في البحوث ذات الصفة الإجرائية. وكما قالت الأستاذة " رجاء دويدري": في فصل الأساليب الرياضية الحديثة في البحث العلمي، من كتابها المذكور أدناه:

" لايمكن استخدام النماذج إلا حينما تكون هناك منظومة معقدة من الوقائع تمت ملاحظتها، او الوقوف عليها وبالإمكان التعبير عن بنية تفسيرية بصورة رياضية دقيقة مع الحفاظ على الواقع المشاهد." [15]

فكرة النماذج بمعناها المذكور أعلاه، طارئة دخيلة على حقل العلوم السياسية وفرضتها الضرورة المنهجية التي صاحبت قوة انتشار المنظور السلوكي، وكان علم الاقتصاد يمثل حاضنتها الأولى في العلوم الاجتماعية. فقد أضحت أداة من أدوات التفسير والتوقع نظرا لما تتّسم به ظواهر علم

[14] محمد طه بدوي، المعرفة السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 350.
[15] رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000) ص. 287.

الاقتصاد من غلبة الكم على الكيف، الأمر الذي يتيح لهذه النماذج أن تتصور في بناء تجريبي إحصائي رياضي، ومن ثم إختباري منطقي.

في علم السياسة، وبالنظر لطبيعة الظواهر السياسية التي يغلب عليها الطابع الكيفي القيمي، فقد تأخر ظهور مثل هذه النماذج في هذا التخصص. ومع انتشار النظرة السلوكية للأحداث والظواهر السياسية، راح علماء السياسة التجريبيون يقدّمون **نماذج نظرية** لكي تتّخذ كأساس لتحليل الحياة السياسية على تباين صورها التاريخية والحضارية. وفي هذا الصدد يشرح الدكتور محمد طه بدوي مفهوم النموذج النظري في علم السياسة بأسلوب تفكيكي قائلا: " هي **نماذج** لأنها تمثل صورا مصغرة للحياة السياسية في جملتها. وهي **نماذج نظرية** لأن كل نموذج منها يتمثّل في مجموعة من المفاهيم المنسجمة فيما بينها بعلاقات متسقة اتساقا منطقيا. وتبدو لواضعيها أنها تعبّر عن حقائقواقع الحياة السياسية، وأنها جديرة بأن تتّخذ كمرشد لأي بحث سياسي، وكاداة لفهم احداث الواقع السياسي وتفسير سير الحياة السياسية وانتظامها في آن واحد. "[16]

عملية بناء النماذج:

يعتبر مفهوم البناء أو البنية من مفاهيم الأساس في علم السياسة، وهو من المفاهيم السلوكية التي تمت استعارتها وأدخلت على الحقل. وقد أصبحت شائعة الاستعمال، فمثلا إذا أردنا التحقق من اكتمال بناء فرع علمي معين، كعلم السياسة مثلا، لابد من توفر الشروط التأسيسة الأربعة التالية: الموضوع، ومنهج الدراسة، والصياغة النظرية للقوانين، وأخيرا النتائج التي أفضى إليها تطبيق المقولات النظرية باتباع المنهج على الموضوع.

كذلك الأمر بالنسبة لبناء النموذج، فهي عملية أشبه ما تكون برسم صورة لشيء ما، ويتعلق الأمر هنا برسم صورة أو تشييد هيكل يحاكي الواقع أو الحقيقة، ولكن ليس هو الواقع او الحقيقة ذاتها. وما دام الأمر كذلك فإن للنموذج أساسات وأركان يقوم عليها. فكما يبنى المنهج، وتبنى النظرية، فإن النماذج هي الأخرى تعتبر محصلة عملية بناء أو تشييد علمي يقوم به الباحث أو العالم في مجال تخصصه. ولا يخفى على طالب العلم أن أداة أو تقنية البحث العلمي كذلك تُبنى لكي تكون جاهزة لجمع البيانات والمعلومات حول الظواهر، وبالمحصلة نقول بأن النماذج مثلها مثل المفاهيم العلمية والنظرية، تمثل أدوات للبحث العلمي أو وسائط بيننا وبين الظواهر، على أنها ليست هي الظواهر ذاتها.

[16] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 350.

فكل الأدوات تشترك في مرورها الحتمي بعملية البناء المنهجي بأنواعه، وذلك قبل توظيفها في الأبحاث والدراسات.

وقبل الحديث عن كيفية بناء النماذج النظرية، لابد من التنبيه إلى أن النماذج ذاتها تنهض على أساس من النظريات والقوانين أو المعادلات، والتي تتيح للباحث اختبار وفحص مدى صحتها، واستنباط نظريات أو تعميمات أو مبادئ عامة. فالنموذج العلمي في علاقته بالنظرية يقوم بوظيفتين: إما اختبار النظرية التي ينطلق منها، أو تطوير نظرية جديدة.

يتضح من ذلك أن النموذج سابق للنظرية، ويستخدم كمقدمة للوصول إليها، ويساعد الباحث على الاستنتاج بافتراض علاقة ترابط بين بعض المظاهر في الواقع، وبين النموذج الذي يطلق عليه في هذه الحال بالشبيه أو النظير. وما يزيد فكرة ارتباط بناء النموذج بالبناء النظري عموما، هو أن بناءه يعد جزء من بناء النظرية وحلقة ضمنه. حيث تشكل النماذج النظرية مجموعة من الجزر المنعزلة، التي قد تعكس بعض جوانب الواقع، غير أنها تعجز عن تصويره وإدراكه في كليته، على عكس النظريات الكلية التي تسعى لإدراك وتفسير الواقع السياسي مثلا في كلّيته.

مكونات وطرق بناء النماذج النظرية:

ينطوي النموذج العلمي على مايلي:[17]

- الملامح العامة كما انطبعت في ذاكرة الباحث.
- الصورة التي يستحضرها الباحث في ذهنه، أي بالمقايسة بين النموذج والأصل (الظاهرة).
- الكلمات التي تعبّر عن المفهوم الذي يمثله النموذج.
- ما يتضمنه المفهوم من مسلّمات ومبرهنات.
- ما يرافق البحث في المفهوم أو عرضه من رسوم هندسية وأشكال توضيحية.
- العلاقات الرياضية التي ينطوي عليها مفهوم النموذج.
- مجموع العناصر المادية والمركبات التي يتكون منها النموذج.

وبعد ذكر ما ينطوي عليه النموذج، نتطرق إلى الطريقة التي يتم بها بناؤه:

[17] رجاء دويدري، مرجع سابق، ص. 289.

يتفق العديد من الباحثين على أن عملية البناء هذه ينبغي أن تنطلق من الواقع عبر استقراءه، لأن هذه العملية تساعد على إدراك أمور قائمة لم نكن نلتفت إليها. ولهذا تتم عملية البناء ا كما يلي:

- تحديد المشكلة البحثية، قبل صياغة الافتراضات بشأنها. وفي هذا إعمالا لآلية التوليف بين الاستقراء والاستنباط مع إيلاء الأهمية القصوى لضرورة الانطلاق في ذلك من واقع الظواهر لا من أذهان وتصورات الباحثين.
- صياغة الفروض العلمية استجابة للمشكلة البحثية.
- إجراء التجارب للتأكد من صحة الافتراضات ومن مقدرتها على التنبؤ.
- فإذا نجحت التجارب كان للنموذج ما يؤيده، وإذا أخفقت فسرعان ما يُطرح النموذج جانبا. أو تتم مراجعته وتعديله ليصبح أقدر عل التفسير ومن ثم على التوقع بشأن الظواهر.

أما مراحل عمل النموذج فقد تطرق لها المختصون بأنها تبدأ بالتجريد وتنتهي بالتعميم تعبيدا لطريق التوقع، بمعنى تحويل جزء من العالم أو الواقع الحقيقي للظاهرة التي يراد دراستها إلى أولى مراحل النموذج عبر مجهود فكري كبير. وعتبر هذه اصعب خطوة في بناء النموذج وتكمة صعوبتها في عملية التبسيط بحيث يجب فيها المحافظة على جزء من الواقع، حتى يظل النموذج معبرا عنه.

يعني التبسيط الناتج عن التجريد التخلص من كثير من البيانات وفيض المعلومات حتى يتم الإبقاء على المشترك من خصائص الظاهرة فقط، ليتم تشكيل نمطا تصوريا قائما بذاته يسري على جميع حالات وأفراد الظاهرة محل البحث والتحليل. وينطوي على المظاهر الجوهرية للموضوع أو المادة او الظاهرة مما ينتج نموذجا مبسطا عاما وقادرا على التوقع في ظل بقاء انتظامات الظواهر.

ختاما، يمكن القول بأن النماذج النظرية هي مجرد أدوات للتحليل العلمي ومنه التحليل السياسي، ورغم أنها ليست وصفا للواقع السياسي كما هو . إلا أنها قد تساهم في فهم الظواهر والحياة السياسية على وجه الخصوص، بل ويمكنها أن تبلغ مستوى التوقّع ولو في الأجل القصير طالما لم يطرأ على حالات بيئتها الاجتماعية تغيّرات تؤثر في سلوكيات الجماعة. وكل ذلك قد يتأتى لها عندما تعتمد في بنائها على فروض مصورة من واقع بيئتها بالملاحظة ومحققة بالتجريب، أو على الأقل بالمقارنة.

لكن من جهة أخرى فإن ما يؤخذ على هذه الأدوات أنها في غالب الحالات تتجاهل متغيرات البيئة الاجتماعية المذكورة، من أفكار وقيم وتقاليد وأعراف ونظم وأوضاع حضارية وغيرها من

الخصوصيات التي ينفرد بها كل مجتمع، بل وكل جماعة من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان بالنسبة للجماعة نفسها. وإن تجاهل تلك النماذج العامة لهذه التغيرات يهبط بها ويسقطها إلى مجرد الإيحاء بفكرة تجريدية عامة عن ميكانيكية الحياة السياسية على تباين الحضارات والثقافات، وهو ما يبعدها أكثر فأكثر عن الموضوعية التي قوامها الارتباط في أي تحليل علمي لأي نشاط أو سلوك اجتماعي بأوضاع بيئته الاجتماعية المتغيرة على الدوام.

3/ بناء النظرية:

تشكل النظرية في حد ذاتها أحد أهم **الأبنية** المنهجية للعلم. وقد سبق القول بأن العلم يمكن النظر إليه من خلال منظورين مختلفين، الأول باعتباره نشاط إنساني هادف، والآخر باعتباره **بناء**، وفي الحالة الأخيرة يقصد بالعلم،جسد المعرفة العلمية المتراكمة. حيث تدور جل محاولات أصحاب هذا الاتجاه حول حقيقة أن العلم هو جزء من المعرفة، يتضمن الحقائق والمبادئ والقوانين و**النظريات** والمعلومات الثابتة والمنسقة والمصنفة.[18]

يدافع أصحاب هذا الاتجاه عن فكرة أن العلم يمثل بناء معرفيا، حيث كان من الضروري بالنسبة إليهم إزاء تزايد الحقائق والمعارف العلمية وتنوعها وسرعة تراكمها أن تصنّف وتنظّم في بناء معرفي يتضمن هذه الحقائق وما توصّل إليه العلماء من مفاهيم وقوانين **ونظريات** وتعميمات علمية.[19] فالعلم من وجهة النظر هذه هو مجموعة المقولات أو القضايا النظرية التي تتبلور على هيئة أبنية نظرية، تقدم تصورات للواقع، وتنظيما محددا لمتغيراته وضبطا لاتجاهات التفاعل بينها. وعلى هذا الأساس، فإن تطور النظرية وعمق التنظير يشكلان العنصر المفتاحي للوصول إلى العلم.

تعريف النظرية:

يعرّف مفهوم النظرية إبستيمولوجيا بـ: Theorein وهو الفعل " يرى"، ومن ثم فالنظرية تعني الرؤية vision أو sight. أما اصطلاحا فتلتقي معظم التعريفات المقدمة لهذا المفهوم على أنه **نسق من المقولات المترابطة منطقيا، وشبكة من التعميمات الاستدلالية من خلالها يمكن اشتقاق تفسيرات**

[18] ماثيو جيدير، **منهجية البحث**، (ترجمة) ملكة أبيض، ص. 5.

[19] فاطمة عوض صابر وميرفت علي خفاجة، **أسس ومبادئ البحث العلمي** (الإسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية، 2000)، ص.13.

أو تنبؤات عن أنماط معينة من الأحداث المعروفة جيدا.[20] وكمثال عن ذلك، يعرّفها "عبد الباسط محمد حسن" كما يلي: " مجموعة من المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تكوّن رؤية منظمة للظواهر، عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها."

ومن الباحثين من يفصّل أكثر ويحاول تعريف النظرية من حيث بنائها وعلاقتها بالفروض العلمية والمنهج المتّبع فيها. وفي هذا يؤكّد " محمد طه بدوي" أن النظرية هي مجموعة من الفروض المتسقة فيما بينها ثبتت صحتها عن طريق التدليل العقلي أو عن طريق التجريب، وهي في الحالة الأولى نظرية فلسفية، أما في الثانية فهي نظرية علمية.[21] ويلتقي بدوي في ذلك مع " مونت بالمر" Monte Palmer حين يؤكد هذا الأخير على أنه إذا كان الفرض إقرارا غير محقق بوجود علاقة بين متغيرين أو أكثر، فإن النظرية هي إقرار بوجود علاقة بين متغيرات محققة إمبريقيا.[22] والقاسم المشترك بينهما هو النزعة الإمبريقية أو التجريبية.

عملية بناء النظرية:

يؤكد الدكتور " نصر محمد عارف" بأنه لا يكاد يخلو بحث في مفهوم النظرية من حديث عن عمليتين متلازمتين، هما: عملية بناء النظرية Theory building، وعملية اختبار النظرية Theoty testing. فلا يوجد فحص واختبار دون بناء للنظرية. وحسب الأستاذ " علي ليلة" المتخصص في النظرية الاجتماعية. فإن تحليل بناء النظرية العلمية يتطلب ضرورة التركيز على ثلاثة جوانب أساسية: [23]

الجانب الأول: وهو ما يسميه مجازا بالبنية المورفولوجية للنظرية، أو مكوناتها الأساسية.

الجانب الثاني: فيتمثل في العمليات الدينامية لبناء النظرية، سواء تلك المتعلقة بتأسيس النظرية، أو تلك الخاصة بأعمالها في عمليات البحث المختلفة، أو تلك التي تركز على صياغة النظرية العلمية لتحديد مبادئها الأساسية.

الجانب الثالث: فيتعلق بوظيفة النظرية بالنظر إلى نسق التفكير العلمي للنظام العقلي الذي تنتمي إليه كإطار لها، وبالنظر كذلك إلى النسق الاجتماعي كإطار لأعمال فاعليتها.

---

[20] نصر محمد عارف، **إبستيمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي- النظرية –المنهج**، مرجع سابق، ص. 72.
[21] محمد طه بدوي، **النظرية السياسية المعاصرة** (الاسكندرية: المكتب المصري الحديث، دت)، ص.249.
[22] محمد شلبي، **المنهجية في التحليل السياسي** (الجزائر: دار هومة، 2002)، ص.17.
[23] علي ليلة، بناء النظرية الاجتماعية، (القاهرة: المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع)، ص. 83.

وفي حقيقة الأمر فإن جانب العمليات الدينامية لبناء النظرية مستمد من تعريف النظرية في حد ذاتها، فالنظرية هي جهد عقلي **تركيبي**، أو هي **تركيب تصوري** رمزي يستوعب سلسلة من المقدمات الضرورية التي تسهم في الوصول إلى التفسير واستبصار مستقبل الظاهرة المدروسة. ولا شك أن التركيب هو من علامات البناء المادي أو التصوري.

ولكن تمة خلاف حول فلسفة بناء النظرية، يذكرنا بالخلاف حول مصادر المعرفة العلمية، ومنطلقات خطوات ومراحل المنهج العلمي، ومراحل بناء وتشييد النماذج والأدوات العلمية. وقد وقع الخلاف بين فريقين:

- حيث يرى البعض أن النظرية لا بد أن تبنى على أسس إمبريقية من ملاحظة وتجريبة.
- بينما يرى آخرون أن النظرية بها وحدات لا يمكن أن تتأسس على الملاحظة والتجربة فقط، إذ الأفكار والفروض والمفاهيم قد تكون نابعة من الواقع، ولكنها مستقلة عنه في الوقت ذاته، لأن الواقع نسبي متغير ومتحول بصورة تفقد نتائج الملاحظة موضوعيتها ومصداقيتها.

يمكن القول هنا ما قد قيل في التركيب بين الاستقرائيين والاستنباطيين في مصادر المعرفة العلمية. بمعنى أن بناء النظرية هو مزيج بين لبنات استقرائية كالملاحظة والتجربة، وأخرى استنباطية كالأفكار والفرضيات والتعميمات....إلخ.

فعملية بناء النظرية حسب النسق الذي قدّمه Graham Kinloch تنتظم في خطوات مرتّبة بصورة تصاعدية، يعد سابقها مؤثرا في لاحقها أو محددا له، وآخرها ترجع نتائجه في شكل تغذية عكسية لأولها.[24]

1- وجود نموذج معرفي، بالمعنى الذي صاغه توماس كوهن. حيث يمثّل إطارها ومحيطها أو ما يسمى " ما وراء النظرية Metatheory" .

2- بناء مفاهيمي واضح ومحدد ومتناسق مع النموذج المعرفي ونابع منه.

3- نمط من العلاقات المنطقية بين هذه المفاهيم، محدد الانواع تكون فيه علاقات بديهية أو حقيقية، أو تكون افتراضية، إيجابية أو سلبية.

[24] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص، ص. 73، 74.

4- مجموعة من التعريفات الإجرائية في شكل متغيرات وأبعاد ومؤشرات دالة.

5- مجموعة من الادوات والمناهج، أو ما يسمى بالمنهجية الإمبريقية لاختبار العلاقة المفترضة بين المتغيرات والمؤشرات.

6- تحليل المعلومات سواء بطريقة كمية أو كيفية.

7- التفسير ثم التقويم على ضوء الفعالية والقدرة على التوقع.

وبحسب " ميرتون" الذي يعرّف النظرية الاجتماعية بأنها التصورات المترابطة منطقيا، أنه حينما تترابط المفاهيم في شكل إطار أو مشروع فكري فإن النظرية تبدأ في الظهور. ثم يضيف بان المفاهيم تولّد التعريفات أي التشخيصات والتحديدات، أو بمعنى آخر نقل المفاهيم من صفة التجريد إلى الإجرائية وما يجب أن يلاحظ منها. كما ان المفاهيم تشكّل المتغيرات التي يجب ان نبحث بينها العلاقات الإمبريقية المتبادلة. وحينما تترابط أو تتداخل القضايا (الفرضيات) منطقيا فإن بناء النظرية يكون قد اكتمل.[25]

كخلاصة، يمكن القول إن النموذج يصاغ أو يبنى في حالة غياب النظرية، أو في حالة عدم توافرها فيما يتعلق بنطاق إمبريقي معين. وهنا يشير "الدكتور علي ليلة" بأن النماذج تعدّ استراحة وسط الطريق الموصل إلى بناء النظرية، إذ أنها عبارة عن تشخيصات أو تحديدات مؤقتة، حتى سميت كذلك بمجموعة جزر متقاربة تكاد تلتصق لتشكل جزيرة كبيرة هي النظرية. إذ انها تمد الباحث بالتقديرات المبدئية التي يمكن أن يختبرها ومنها يمكن ان تصاغ النظريات ذات القيمة التفسيرية الأقوى.

تزوّدنا النظرية بطرق لترتيب الحقائق وتحويلها إلى معلومات وبيانات، وتقوم النظرية بعدها بانتقاء المعلومة المهمة والمفيدة من بين المعلومات المتاحة، وتستفيد منها في عمليات الوصف والتصنيف والتحليل والتفسير والتوقع.

وأخيرا، فإن كينيث والتز " يصف النظرية – وبدرجة أقل النموذج- بأنها بناء تصوري، بحيث تقوم بتركيب واقع معيّن، ولكن لا أحد بإمكانه الجزم بأنها تمثل الواقع نفسه.[26] وحتى وإن مثّلت

[25] علي ليلة، **بناء النظرية الاجتماعية**، (القاهرة: المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع)، ص، ص. 50، 51.
[26] Kenneth N. Waltz, Theory of International politics, (California : Addition-Wesley publishing company, 1979) P.6.

الواقع في مرحلة معينة فإنها قد تفشل في ذلك في مراحل أخرى. كما أنها قد تفشل في زمن معين في تفسير واقعين مختلفين مكانيا. لتبقى النظرية مثلها مثل الادوات التحليلية عبارة عن مساهمة من أصحابها لتصور واقع معين وتفسيره في مرحلة معينة، وتبقى عرضة للتعديل والتحسين حسب تقلبات الواقع.

المحور الثاني:

مناهج البحث في علم السياسة

-المنهج المقارن.

- المنهج الوصفي : دراسة حالة - المسح الاجتماعي.

-المنهج التاريخي.

-المنهج التجريبي شبه التجريبي غير التجريبي

-المناهج الكمية.

وُضع هذه العنوان بصيغة الجمع – مناهج- موحيا بفكرة تعددية المنهج لا أحاديته، وإذا كنا نقرّر هذه الفكرة فإنه يجب أن نبيّن بأن تعدّدية المنهج هذه، يقصد بها تعدّد جوانب موضوع العلوم الاجتماعية، ذلك أن فكرة تعدد المنهج في العلوم الطبيعية مثلا، غير مطروحة في اعتقادنا. إذ يكفي أن يشير الباحث فيها إلى أن المنهج المعتمد هو المنهج العلمي التجريبي. أما في العلوم الاجتماعية فتختلف المناهج باختلاف موضوعات البحث، وحتى ضمن المجال التخصصي الواحد يمكن أن تتعدد المناهج التي يمكن اتباعها لدراسة الظواهر المنتمية إليه.

تزداد هذه الفكرة قوة عندما نعرّف المنهج العلمي بأنه مجرد فكرة تتم صياغتها في جملة من القواعد العامة التي يتوجب تطبيقها من قِبل نشاط البحث. ذلك ان البحث هو تحقيق عيني وممارسة عملية لفكرة المنهج.

توضيحا لفكرة القواعد يمكن القول بأن المنهج العلمي يشتمل أساسا على الخطوات التي تجمع بين الاستقراء والاستنباط بدءا بتحديد المشكلة البحثية وصياغتها، ثم اقتراح الحلول أو الفرضيات، وبعدها تأتي خطوة اختبار الحلو ل أو الفروض – فيما يعرف بالقيام بالتجربة في المنهج التجريبي- وأخيرا استنباط النتائج. لقد بُني المنهج العلمي التجريبي في أول الأمر على هذه القواعد أو الخطوات الأربعة من أجل حسم النقاش بين الاستقرائيين والاستنباطيين.

إلا أن التطور الحاصل في مجال دراسة الإنسان والمجتمع عموما، والدعوة إلى تقليد العلوم الطبيعية التي قطعت أشواطا كبيرة في تطبيق المنهج العلمي، استعانت العلوم الاجتماعية بالمنهج العلمي التجريبي كمحاولة لتطبيق قواعده على أبحاث الإنسان في شقه الاجتماعي. إلا أن ذلك قد لاقى صعوبة كبيرة باعتبار أن أغلب ظواهر العلوم الاجتماعية لا تنقاد للخطوة الثالثة – التجربة- بسهولة، وأحيانا يستحيل عبورها إلى الخطوة الأخيرة، في ظل الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في هذه العلوم، ككثرة المفاهيم الكيفية الغامضة، والركون إلى الأحكام القيمية، وتعقد المواقف الإنسانية الناتج عن تداخل كثير من المؤثرات والمتغيرات التي يصعب ضبطها والتحكم فيها. ناهيك عن غياب التماثل بين الأفراد والجماعات.[27]

من أجل ذلك توصّل العلماء لطرق بحثية أنجع من **التجريب**، باعتبار أن هذا الأخير لم ولن يكون سبيلا ملائما ولا طريقة مناسبة لدراسة الإنسان في المجتمع إلا في حدود وجوانب قليلة منه.

[27] نجيب الحصادي، نهج المنهج، ص. 150.

وهذا ما يبرّر وجوب أن تكون **طرائق وسبل البحث العلمي متعددة** ومتعلقة بالسبل المتاحة لتحقيق المقاصد والأهداف الخاصة لمختلف مجالات وتخصصات العلم. وحسب الدكتور " نجيب الحصادي" فإنه ليس هناك ما يسمى – والحالة هذه- بالمنهج التاريخي أو المنهج الوصفي أو التجريبي أو السببي المقارن. فهذه حسبه لا تعدو أن تكون سبلا مختلفة لتطبيق قواعد منهج واحد ثابت مطلق. ويقصد به المنهج العلمي بقواعده وخطواته.

هنا ظهرت فكرة تعددية أساليب البحث أو مناهجه، أو ما يسمى بالملاءمة المنهجية في العلوم الاجتماعية. وحسب الدكتور نجيب الحصادي، فإن الاختلاف في سبل البحث ما هو إلا اختلاف حول انسب الطرق لتنفيذ الخطوة الثالثة – اختبار الحلول أو الفرضيات المقترحة. فإذا كان السبيل أو الطريقة التجريبية- التي ينسب إليها المنهج بأكمله - قد اختار التجريب كأداة لتنفيذ الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي، باعتبار أنه افترض الباحث فيه فرضا يود البحث عن العلائق السببية القائمة بين متغيرين أو أكثر، فإن الباحث في طرق وسبل أخرى قد يطرح فرضا يُعنى بوصف جملة من الظواهر دون أن تروم طرح تعليل سببي لها، ولذلك يتعيّن أن يتم اختبار فروضه في ضوء ذلك المقصد أو الهدف.

1/ المنهج المقارن:

تقول إحدى الطروحات المنهجية، بأن تحليل البناء المنهجي للعلوم الاجتماعية عموما، ولعلم الاجتماع الذي يعتبر الوعاء لعلم السياسة الناشئ خصوصا، يكشف عن وجود ثلاثة مناهج أساسية هي المنهج التاريخي والمنهج المقارن، والمنهج التجريبي.[28] ولو أن بعض الاجتهادات لحصر المناهج الرئيسية في العلوم الإنسانية قد جعلت منهج المسح الاجتماعي في مكان المنهج المقارن. وذلك مثال المساهمة التي قدمها " موريس أنجرس"، إلا أنه في الواقع لا يمكن تجاهل مدى أهمية المنهج المقارن في تطور المعرفة العلمية الاجتماعية.

إن فحصا متعمقا أكثر في الأدبيات المنهجية، يطلعنا على رأي آخر قد يكون مخالفا تماما، وهو أن المنهج المقارن بهذا الاسم لا وجود له، وذلك راجع لعدة أسباب هي:

- الاختلاف بين الباحثين في السياسة المقارنة حول طبيعة ما يسمى المنهج المقارن ومدى علميته، وهل هو واحد من المناهج العلمية أم أنه المنهج العلمي؟ وهل تعدّ المقارنة بديلا مناسبا للتجربة في العلوم الطبيعية؟
- للإجابة عن الشطر الأول من هذا السؤال يقول هارولد لاسويل إن المنهج المقارن قد انتهى إلى الأبد لأن المسعى العلمي لا يستطيع أن يتجنب المقارنة طالما أنه يدّعي العلمية، حيث إن الوصول إلى التعميمات لا يمكن أن تتم بدون مقارنة.[29] وأما " ليبهارت Lijphart " فيرى بأن المنهج المقارن ليس هو المنهج العلمي، وإنما هو واحد من المناهج العلمية التي تدرس الظاهرة السياسية. ويقصد ليبهارت بذلك أن المنهج المقارن هو أسلوب أو طريقة من طرق المنهج العلمي، التي تتخذ من المقارنة أداة أو تقنية لفحص افتراضات الباحث العلمي في علم السياسة.
- الإجابة عن الشطر الثاني من السؤال توضح كذلك بأن المقارنة ليست منهجا بقدر ما هي أسلوب أو طريقة من طرق البحث المنهجية. فإذا تساءلنا عن مدى إمكانية تعويض المقارنة للتجربة في العلوم الطبيعية، أو إذا سلّمنا بذلك، فإن ذلك سيمثّل دليل على كون المقارنة أداة وليس منهجا، لأننا سلّمنا قبل ذلك بأن التجربة أداة من أدوات البحث العلمي وليس منهجا من مناهجه. وهنا نقول كذلك بأن ما يسمى المنهج التجريبي ما هو في الحقيقة إلا طريقة أو

[28] علي ليلة، بناء النظرية الاجتماعية (الإسكندرية: المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2014) ص.37.
[29] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 99.

أسلوبا في البحث المنهجي، يعتمد على التجربة في تنفيذ الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي. وتدعيما لهذا المسعى، فقد اعتبر كل من " اوغست كونت Auguste Compte وإميل دوركايم Durkheim" **أسلوب المقارنة** بأنه الطريقة الممتازة بالنسبة للعلوم الاجتماعية، بحيث أنه يلعب الدور الذي تلعبه **التجربة** في العلوم الفيزيائية والبيولوجية.[30]

- إن ما يعبّر عنها بأنها مناهج، ما هي إلا طرق وأساليب لتطبيق المنهج العلمي الموحد. وهذا ينطبق على ما نسميه هنا بالمنهج المقارن، فهو في الحقيقة أسلوب في البحث وطريقة في المعالجة المنهجية للبحث العلمي.
- حتى ولو تم اعتبار الممنهج المقارن أسلوبا أو طريقة للمقارنة، فإن ذلك لن يتم إلا في إطار اعتبارها – حسب وجهة النمظر هذه - فرعا من فروع دراسة العلاقات السببية أو الارتباطية، التي تعد بدورها نوعا من أنواع الدراسات الوصفية، كما سيتم بيانه في حينه.

والواقع أنه سيتم النظر إلى المقارنة على أنها أسلوب أو طريقة من طرق تنفيذ الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي. وسيتم مقاربتها بهذه الطريقة. وهو ما يعني أننا لن نركز كثيرا على الجانب الأنطولوجي للمقارنة، بل سنحاول تناولها تناولا إبستيمولوجيا ينظر للمقارنة من زاوية كيفية الوصول إلى معرفة علمية من خلالها على الأقل، وإلى فهم الواقع وحسن إدراكه بواسطتها. وكل ذلك يصب في خانة فحص الفرضيات وتحقيق الأهداف التي ترسمها المشكلات البحثية في العلوم السياسية.

أهمية المقارنة في الدراسات والبحوث العلمية:

بالاستناد على تعريف جون ستيوارت ميل للمقارنة بأنها "**دراسة ظواهر متشابهة أو متناظرة في مجتمعات مختلفة، أو هي التحليل المنظم للاختلافات في موضوع أو أكثر عبر مجتمعين أو أكثر**". نجد أن لها وظيفة متعددة المستويات، إذ أن لها قيمة وصفية، وتصنيفية، ثم تتعداهما – خاصة في الجزء الثاني من التعريف- إلى المستوى التفسيري الساعي إلى تحليل منظم ثم تفسير للاختلافات، والذي يعد بدوره محطة هامة نحو التوقع بشأن الظواهر المفسرة، وهو ما يسهل من عملية ضبطها والتحكم فيها.

إن تحليل أوجه الشبه والاختلاف بين المجتمعات والمؤسسات هو الطريقة المفضلة التي تمكننا من اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والسياسية.[31]

[30] عصام سليمان، **مدخل إلى علم السياسة** (بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1989)،، ص. 145.
[31] عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، ص. 145.

المقارنة باعتبارها طريقة عامة في التفكير، تفيدنا في معرفة وتمييز وتقويم أفعالنا وأفعال الآخرين كأمم وأفراد. وحسب كارل دوتش Deutsh يبدأ البشر خطوات تعليمهم الأربع الأولى من حب الاستطلاع، وإدراك أنماط، وحصر حالات وتصنيفها، وتحديد التشابهات والاختلافات. ومن تم فإن أول أهداف المقارنة هو تحقيق المعرفة وتوسيعها سواء بالذات أو بالآخرين.

كما تبرز قيمة وأهمية المقارنة إذا أدركنا أنها تندرج ضمن أهم عناصر التحليل العلمي الأساسية، فلا يمكن فهم الوقائع فهما جيدا إلا بمقارنتها بوقائع أخرى مشابهة لها. وهنا ننقل كلاما مهما لـ"**وودرو ولسن** " حين قال: " أعتقد أن مؤسساتنا يمكن أن تفهم وتقدّر حق قدرها فقط عند أولئك الذين يعرفون شيئا عن النظم الأخرى، وعن الحقائق الأساسية للتاريخ". [32]

من بين ما تهدف إليه المقارنة عبر فهم الآخر على حقيقته هو التقليل من السقوط في التمركز العرقي حول الذات، وكشف النمطية التي يسعى بعض الآخر إلى تسويقها على حساب الخصوصيات التي توجد في بيئات مغايرة. كما تزوّدنا بفهم مفاده أن القيم والمعايير والمؤسسات الأكثر انتشارا وقبولا في مجتمع ما، ليست بالضرورة هي القيم والمعايير والمؤسسات العالمية أو الأفضل، وأن قيما مثل الحرية والديمقراطية لا يمكن أن تقاس بمعايير واحدة.[33] كما تمدنا المقارنة بالتجارب التي تجنبنا الوقوع في الأخطاء السابقة التي وقت فيها بلدان أخرى.[34]

أنواع المقارنة/ التحليل المقارن:

ينطوي الأسلوب المقارن على إقامة تناظر متقابل أو متخالف لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر تحدثان في المجتمع، أو حول موقفين أو حالتين يشهدهما المجتمع. وليس بالضرورة أن تكون المقارنة بين ظواهر في مجتمع واحد. ولذلك فإن للتحليل المقارن أوجه متنوعة، قد تختلف تسمياتها ولكنها تصب في معنى واحد، وأبرز هذه الأوجه ما يلي:

الوجه التاريخي: ويطلق عليه اسم المقارنة الخطية أو المقارنة الزمنية، أو المقارنة العمودية. وهو الذي يتم فيه اعتماد المنهج المقارن وتطبيقه على الظاهرة في عدة مراحل زمنية متعاقبة. ومثال ذلك مقارنة النظام السياسي الجزائري في فترة الأحادية وفترة التعددية. كما أنه قد يؤخذ التزامن التاريخي للحدث الذي يسمى " السايكروني Siachrony " مثل دراسة القيم الاجتماعية أو التقليدية عقب التغيرات الاجتماعية أو السياسية التي حصلت بعد مدة زمنية معينة. [35]

[32] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 115.
[33] نصر محمد عارف، مرجع سابق، ص. 115.
[34] محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، ص. 82.
[35] معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004) ص. 145.

الوجه المكاني: ويطلق عليه أيضا اسم المقارنة التعددية، أو المقارنة الأفقية. وهو الوجه الذي تتم فيه مقارنة الظاهرة في مكان معين وتواجدها في مكان آخر. حيث يمكننا مقارنة ظواهر ذات طبيعة واحدة، ولكنها ليست موجودة في حيز جغرافي واحد. كأن نقارن بين الأنظمة البرلمانية المطبقة في بريطانيا وإيطاليا ولبنان. أو قد يؤخذ الامتداد المكاني المتزامن المسمى " دايكروني Diachrony " مثل دراسة أو مقارنة ظاهرة العزوف الانتخابي في كافة الدوائر الانتخابية لدولة ما في نهاية كل عملية انتخابية.

الوجه الزماني- المكاني: وهو الوجه الذي تتم فيه مقارنة الظاهرة السياسية والاجتماعية عموما في مكان ما وزمان معين مع تواجدها في أمكنة أخرى، وأزمة متباينة.

إضافة إلى هذه الأنواع يمكن التمييز بين نوعين من المقارنة هما المقارنة المؤسسية والمقارنة الوظائفية.

فالأولى هي التي تتناول المؤسسات كمتغير للمقارنة، وهي الأكثر استعمالا في مجال البحث السياسي. وتعتبر المقارنة المؤسسية من أسهل أنواع المقارنات لأنه ليس من الصعب اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بين بنيات المؤسسات موضوع المقارنة.

أما النوع الثاني، أعني المقارنة الوظائفية، فهي أدق من الأولى لا أنه لا يوجد نماذج تصنيفية للوظائف في الحقل الاجتماعي إلا في مجالات محددة كوظائف الدولية القومية مثلا. كما أن الثورة السلوكية قد أحدثت تغييرا جذريا في سلوك الأفراد والجماعات المتعددة أصلا مما يصعّب من مهمة إيجاد نمط سلوكي نموذجي. لذلك يجب أخذ الحيطة عند إجراء المقارنات الوظائفية. وتتناول هذه المقارنات مثلا طرق اتخاذ القرارات في المؤسسات المتنوعة سواء كانت رسمية حكومية أو غير حكومية كالأحزاب والنقابات والجماعات الضاغطة ..وغيرها.[36]

حتى في إطار هذه المقاربة التصنيفية يقدّم لنا الأستاذ إميل دوركايم ما يسميه بثلاثة طرق للمقارنة وهي:[37]

- قد تكون المقارنة بين نظم وظواهر المجتمع الواحد.
- قد تحصل المقارنة بين نظم سائدة في مجموعة مجتمعات متجانسة من حيث الدرجة والنوع.

كما يمكن أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة، وليست من شكل اجتماعي واحد.

[36] عصام سليمان، مدخل لعلم السياسة، مرجع سابق، ص. 146.
[37] معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص. 101.

المقارنة في علم السياسة:

لقد حظي أسلوب البحث المقارن بأهمية كبرى في الدراسات السياسية،إذ لم يكتف علم السياسة خلال مراحل تطوره، بالاعتماد على المقارنة كأسلوب منهجي أو طريقة لتحليل الواقع السياسي المعقد، بل تعدى الأمر ذلك إلى درجة ميلاد تخصص فرعي من علم السياسة يدعى بالسياسة المقارنة. وفي هذا الصدد يؤكد الدكتور " نصر محمد عارف" بأن السياسة المقارنة قد أضحت الفرع الوحيد في العلوم السياسية الذي **يحمل عنوانا منهجيا، وليس كماّ معرفيا، أو نطاقا جغرافيا.**

يزداد هذا المعنى إيضاحا حين نقرأ التاكيد الذي اورده الباحثان " دوغان وبيلاسي" : " لا توجد دراسة للسياسة هي ليست مقارنة."[38]

إن المقارنة المقصودة في علم السياسة هي تلك التي تسعى إلى إبراز الاختلافات بين الأنظمة السياسية سواء على مستوى التصورات التي تم بناؤها بخصوص الشأن السياسي عموما، أو على مستوى الممارسة السياسية ذاتها. وهي بهذا تروم الإبانة بأن السلطة والمشروعية والسيادة لا تعني الشيء نفسه في كل مكان، فهي تبدو هنا وهناك بأشكال مختلفة، بل متناقضة أحيانا.[39]

لقد شهد التحليل المقارن تطورا مواكبا بذلك التطور في حقل علم السياسة. فمالحق هذا الفرع من تحول نتيجة انتقاله من التركيز على مفهوم الدولة إلى مفاهيم القوة والقدرة والسلطة والنفوذ والبنى والوظائف في مرحلة السلوكية، كان له الأثر البالغ في حقل السياسة المقارنة فأصبح الباحث الذي يستخدم أسلوب البحث المقارن مجبرا على التدقيق في استخدام المفاهيم ملما بالسياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والجغرافية والتاريخية للظواهر محل البحث.

هنا نلحظ بوضوح كيف ان التحليل المقارن انتقل من دراسة الحكومات المقارنة إلى السياسة المقارنة، إلى الأسلوب المقارن متكامل الخطوات والقواعد. ومن هنا نتساءل عن ما هي خطوات أسلوب البحث المقارن في علم السياسة؟

خطوات البحث السياسي المقارن:

[38] محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، مرجع سابق، ص. 71.
[39] برتراند بادي و غي هيرمت، السياسة المقارنة (ترجمة) عز الدين الخطابي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص. 13.

تقتضي الطريقة العلمية أن يبتعد الباحث عن العفوية في التفكير خلال إعداد البحوث العلمية. فلم يعد مقبولا أن نجد العنصر المخصص لتوضيح المقاربة المنهجية الباحث مليئة بمسميات المناهج والمقاربات التي ينوي اعتمادها، دون أن نجد لها أثرا في متن ومضمون البحث.

لإيصال المعنى الصحيح لتوظيف أساليب وطرق البحث في البحوث، يجب إعادة التذكير بأن المنهج العلمي وأساليبه الفرعية ما هي إلا خطوات يتبعها الباحث، وغذا قرّر هذا الأخير اعتماد إحداها أو بعضها، فيجب أن يظهر ذلك جليا في كل خطوات البحث.

كباقي أسالب البحث يتخذ الأسلوب المقارن شكل مجموعة من الخطوات هي:

- تحديد مشكلة البحث الخاضعة للمقارنة، واختيار وحدات التحليل بشكل مقارن.
- صياغة الفروض أو أهداف البحث إن وجدت بطريقة توحي بالمقارنة مع تحديد المفاهيم والمتغيرات التي ستنصب عليها المقارنة.
- جمع البيانات بالتعمق في تصنيف أوجه التشابه والاختلاف بواسطة الأدوات المناسبة للأسلوب المقارن.
- الشرح والتفسير، وإبراز العوامل المسؤولة عن الاختلافات بالأساس.

إذا قطع الباحث هذه الخطوات بنجاح متقيدا بضبطها مع قواعد الأسلوب المقارن، يمكن له أن يذكر في الجزء المخصص لذلك أنه اعتمد على المنهج المقارن، وهناك فقط يمكن له الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم على الحالات التي لم يشملها بحثه وتنتمي لنفس الحقل المعرفي.

2/ المنهج الوصفي:

يعتبر الوصف Description ركنا أساسيا من أركان البحث العلمي، فهو في آن واحد هدفا للعلم، ومستوى للبحث العلمي، وأسلوبا أو طريقة من أهم الأساليب والطرق المعتمدة في البحوث العلمية. ولا نجانب الصواب أيضا إذا قلنا بأن الوصف يعد من بين عناصر التحليل العلمي الأساسية، ومهارة من مهاراته الرئيسية.

وليست القدرة العقلية على الحدس والوصف والتحليل منهجا للبحث، خلافا للتسمية التي يطلقها عليها بعض الباحثين الذين يكتبون أنهم اتبعوا المنهج الوصفي التحليلي، مع أن الوصف والتحليل يعتبران من الملكات والمهارات العقلية الرئيسية التي يجب أن يكتسبها الباحث.[40] وبهذا يكون الوصف مفهوما وعملية متعددة الوظائف والاستخدامات.

والوصف في اصطلاح المنهجية يشير إلى عملية التمثيل المفصل والصادق للموضوع أو الظاهرة محل البحث. ولذلك يعرّفه " موريس انجرس" بكونه: " عملية إنتاج جرد Inventaire أكثر صدق ما أمكن حول خصائص الظاهرة المدروسة." [41]

وسواء تعلق الأمر بالوصف كهدف للعلم أو كمستوى من مستويات البحث العلمي، أو حتى كأسلوب من أساليب البحث، فإنه عادة ما يكون هدفا لغيره، أو منصة للارتقاء إلى مستويات أعلى لا يمكن بلوغها إلا بالمرور عبر الوصف، أو أسلوبا في إطار توليفة من الطرق المتبعة لدراسة الظاهرة الواحدة. وفي هذا الصدد يؤكد الدكتور " أحمد بدر" بأنه **لا يُتصور أن يقتصر دور العلم، ولا ينبغي أن يكتفي مسار البحث بوصف الظواهر، بل يتعداها ويتجاوزها ما أمكن**.[42]

انطلاقا من هذه الحقيقة، برز نقاشا بين المختصين حول مدى إمكانية اعتبار الوصف منهجا قائما بذاته، أم أنه مجرد آلية تعتمد عليها كل المناهج العلمية. إن مجرد الاطلاع الناقد على الأدبيات العلمية في موضوع المنهجية ومناهج البحث، سوف يتم الوقوف على مجموعة من الإنتظامات تتضمنها الإسهامات المنهجية الجادة حول موضوع الوصف وما يسمى بالمنهج الوصفي، والتي مفادها أن أغلب محتوى عناوين المنهج الوصفي يدور حول مصطلح **الدراسات الوصفية** أو **الأساليب الوصفية** أو البحوث الوصفية ...إلخ.

---

[40] عزمي بشارة، " في أولوية الفهم على المنهج،" مجلة تبين، ع.8/30، خريف 2019، ص. 11.
[41] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، مرجع سابق،
[42] أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، مرجع سابق، ص. 20.

أنماط الدراسات الوصفية:

تتنوع أساليب القيام بالدراسات الوصفية من حيث مستوى تعمقها، لتتخذ أشكالا متعددة لم يتفق العلماء على أنواعها. وقد أشار " فان دالين" Van Dalen مثلا إلى ثلاثة أنماط رئيسية هي:[43]

- الدراسات المسحية Survey Studies
- دراسة العلاقات correlation Studies
- الدراسات النمائية أو التطورية أو التتبّعية. Development Studies

1/ الدراسات المسحية:

عادة ما يواجه الباحث صعوبة في التعامل مع المفاهيم المتشابهة، والتي قد تصل إلى حد التناقض في معناها، فإذا أخذنا مفهوم المسح مثلا سنجد عدة استعمالات وتوظيفات لهذا المصطلح، من بينها هو أن يراد به منهج **البحث الميداني** كما عند موريس أنجرس، ومنها من يعتبره أسلوبا تتفرع عنه عدة أنواع كالمسح التعليمي ومسح الوظائف وتحليل المحتوى ومسح الرأي العام وغيرها. ولكن المتأمل في هذه الاختلافات سيصل إلى أن " المسح" هو مفهوم واحد مشترك بين الفروع العلمية والتخصصات، ولكن طبيعة المواضيع والظواهر المعنية بالدراسة داخل هذه التخصصات هي من تحدد طريقة تنفيذ الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي.

في علم السياسة مثلا، عادة ما يتم الاعتماد على أسلوب مسح الرأي العام أو تحليل المحتوى كأسلوب مفضل من أساليب الدراسات الوصفية في بعدها المسحي.

2/ دراسة العلاقات المتبادلة:

وتفيد هذه الدراسات في الكشف عن العلاقات بين الحقائق التي يحصل عليها الباحثون، ولها بدورها أشكال فرعية وهي:[44]

- **دراسة الحالة:** وهي نوع من الدراسات المعمقة جدا في تناول الظاهرة الواحدة. ويتطرق فيها البحث إلى العوامل المتشابكة التي تسهم في يبلور الحالة الاجتماعية الواحدة سواء كانت وحدة التحليل فردا أو جماعة أو تنظيما أو نظاما سياسيا أو الدولة، أو حتى النظام الدولي.

[43] رجاء وحيد دويدري، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، ص. 193.

- **الدراسات المقارنة:** ويعتبر إدراج الدراسات المقارنة تحت هذا النوع من الدراسات الوصفية دليلا على ان الأسلوب المقارن يتخذ مكانة الجسر بين الوصف والتجريب، وذلك لكثرة مستويات المقارنة في حد ذاتها ما بين الوصف والتصنيف والتفسير والتعميم ثم التوقع.

وما قد يغلّب اعتماد الدراسات السببية المقارنة في العلوم الاجتماعية ضمن الدراسات الوصفية التفسيرية هو استحالة استخدام التجارب أحيانا لدراسة السببية.

- **الدراسات الارتباطية:** ويعني الارتباط علاقة بين متغيرين قد تأخذ صفة الإيجاب أو السلب. أو النفي. بمعنى قد تكون علاقة طردية بصيغة كلما زاد المتغير المستقل زاد المتغير التابع، كما قد تأخذ العلاقة العكسية، أي كلما زاد المتغير الأول نقص المتغير الثاني. وأخيرا قد تكون علاقة منفية أو صفرية بحيث لا توجد علاقة بين المتغيرين.

يتوقف نوع الأسلوب الذي ينبغي اتباعه على نوع البحث الذي يقوم به الباحث وعلى الغاية منه.

خدمة لأهداف هذه المطبوعة، والتزاما بالمحتوى الذي يتضمنه عرض التكوين في العلو م السياسية، سيتم التفصيل قليلا في عرض أسلوب دراسة الحالة Case Study كما يلي:

ماذا نعني بأسلوب دراسة الحالات؟

إن الكمال في البحوث العلمية يقاس بمدى بلوغها مرحلة التعميم، ولن يتم ذلك إلا بعبور مرحلة التفسير. ومن المسلّم به أن الأساليب التي يتم الوصول بها إلى هذه الدرجة بواسطة التفسير هي الأسلوب التجريبي، وإلى حد ما عبر الأسلوب المقارن السببي المذكور أعلاه. لذلك يذكر العلماء بأن الأصل في العلوم الاجتماعية هو البحث في الخواص المشتركة للظواهر وانتظامها، وذلك من أجل تفسيرها تفسيرا علميا. إلا أن بروز نوعا آخر من البحوث المسماة " البحوث الميدانية" قد فسح المجال لما يسمى بدراسات الحالات.

تتمثل فكرة الأساس لهذا النوع من الدراسات في أنه لا يصح أن تتمسّك مهمة العلم وتتوقف عند حد البحث الهادف إلى التعميم، ومن تم التركيز على تطوير البحث النظري والأساسي على حساب البحوث التطبيقية. ولكن يجب أن يعنى البحث أيضا بالوقوف مطولا عند الأهداف والمستويات الأخرى الادنى في الترتيب، كالوصف مثلا. ومن ذلك التركيز على دراسة أية مجموعة من الوقائع، أو حتى واقعة

أو حالة واحدة. ومثال ذلك في العلوم السياسية كأن تتم دراسة شخصية سياسية معينة، أو حزب سياسي معيّن، أو مؤسسة سياسية بعينها دراسة معمقة.

من أجل ذلك، تعني دراسة الحالة **التعمق** في وصف الوحدة محل الدراسة. وتحيلنا دراسة الوحدة إلى موضوع وحدات ومستويات التحليل Units and Levels of Analysis. و يقصد بوحدة أو بمستوى التحليل، مختلف الكيانات التي ستتمحور عليها تحليلات الباحث للظاهرة السياسية أو غيرها، فوحدات التحليل تشكّل متغيرات تابعة، ويساعد التركيز على المتغيرات المستقلة من مستوى تحليلي معين في تفسير سلوك هذه الوحدات. ووحدة التحليل أيضا هي مستويات يختارها الباحث كلبنة لمجموع البناء الذي يتولى دراسته، ذلك أن تجزيء الظاهرة السياسية إلى أجزاء يسهل عملية الإحاطة بها، كما انه يحدد أنواع الفاعل السياسي ومستوياته، والذي يظن أن تطبق عليه هذه الفرضية.[45] فحسب اعتقاد " دافيد سينجر " (David Singer) فإن الباحث قد يختار في بحوثه مجموعة ظواهر قد تمتد من أدق كائن إلى الكون نفسه، غير أن اختيار كهذا لا يكون لمجرد نزوة أو عادة.[46]

لهذا الأسلوب (دراسة الحالة) أهميته البالغة في دراسة الشخصيات السياسية المؤثرة في عالمها وفي دراسة الجماعات المؤثرة في الحياة السياسية لمجتمعاتها كجماعات المصالح وجماعات الضغط وغيرها. وينبغي على الطالب المبتدئ أن يعلم أن وحدة التحليل في بحوثه السياسة قد تكون الفرد، أو المؤسسة، أو الحكومة، أو الدولة، أو اتجاها، أو نمطا سلوكيا معينا.[47]

إذا ما اختار الباحث إحدى الوحدات، فإنه سيلتزم بها طيلة خطوات البحث، بما في ذلك اختيار أسلوب البحث المناسب. ويعتبر منهج دراسة الحالة مناسبا، نظرا لاشتماله على خاصية التعمق في دراسة الوحدة محل التحليل، مختلفا في ذلك ومتجاوزا مجرد الوصف السطحي للظواهر السياسية. فيرتبط ارتباطا نهاسيا منذ البداية بتلك الوحدة أو الكيان المحدد بالسعي للتعرف على خواص الحالة المدروسة ومعرفة أهم العوامل المؤثرة في تلك الوحدة وإبراز الارتباطات والعلاقات السببية أو الوظيفية

[45] محمد شلبي، **المنهجية في التحليل السياسي**، مرجع سابق، ص. 20.

[46] David Singer, « The level of analysis problem in International relations » in, James Rosenau (ed), **International relations and foreign policy** (Fre press, 1969), p.20.

[47] محمد شلبي، **مرجع سابق**، ص.20.

بين أجزائها. وذلك عن طريق الملاحظة أو أي تقنية أخرى مناسبة، ويكون ذلك دون التطلع إلى التعميم الذي هو الهدف النهائي للعلم.[48]

قواعد أسلوب دراسة الحالة:

جمع الأستاذ محمد شلبي عدة قواعد ينسبها لهذا الأسلوب البحثي، يمكن ذكرها فيما يلي:[49]

- ينبغي أن يسعى الباحث للحصول على كل البيانات المتاحة عن الحالة (الوحدة) مهما كانت، ويعمل على الربط بين العناصر وإيجاد العلاقات.
- ينصبّ اهتمام الباحث المتبع لأسلوب دراسة الحالة على الحالة الواحدة دون غيرها.
- النظر إلى الوحدة على أنها كل مترابط، أي نسق يستند ترابط أجزائه إلى مبادئ قد تكون عليه، أو وظيفية، أو مبادئ منطقية تشير إلى وجود معنى مشترك بين هذه الأجزاء، وتسمى هذه القاعدة، قاعدة الطابع الكلي للوحدة.
- إبراز الأحداث الأكثر تأثيرا في الوحدة سياسية كانت أو اجتماعية أو ثقافية، وتتبّع التطور التاريخي لها من حيث نشأتها وتطورها، وتحديد المعالم الأساسية التي تعتبر نقاط تحول في تاريخ الوحدة، وتسمى هذه بقاعدة التتبع التاريخي لوحدة الدراسة.
- ضرورة دراسة العلاقة القائمة بين الوحدة موضع الدراسة والوسط أو البيئة المباشرة أو غير المباشرة التي توجد الوحدة في إطارها.

خطوات البحث في أسلوب دراسة الحالة:

يمكن سرد أهم مراحل وخطوات البحث وفق طريقة دراسة الحالة، فيما يلي:

ينطلق الباحث عبر قراءة الحالة وتحديد وحدة التحليل الأساسية، وهو ما يكون عبر ملاحظتها، ثم تنظيم معلومات الحالة المدروسة، ليعقبها بتحديد المشكلة الرئيسية، لينتقل بعدها إلى صياغة هدف البحث، مرورا بجمع البيانات بواسطة ادوات وتقنيات مناسبة، ليعرّج بعدها على التبويب والتصنيف، وأخيرا التحليل والتفسير.

[48] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 253.
[49] محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، مرجع سابق، ص. 88.

3/ المنهج التاريخي:

إذا كان المنهج العلمي هو أساس مسعى الباحث، فإن ما يطلق عليه بالمناهج الأخرى، أو كما نسميها في هذا السياق بالطرق والأساليب المتفرعة عنه هي من ستوضح المسار الخاص الذي سيتّبع على المستوى الملموس. وكما يوضح " موريس أنجرس" فإن تحديد مشكلة البحث سيؤدي إلى اختيار الأسلوب الكمي أو الكيفي، وسيؤدي بالباحث أيضا من أجل تناول موضوعه إلى استعمال إحدى الطرق النموذجية كالتجريب، والتحقيق الميداني، أو الارتداد إلى الماضي متبعا طريقة أو أسلوبا معين في تقييم الوثائق والآثار المستعملة، وذلك لأن الموضوع يفرض عليه ذلك.[50]

في سياق الأسلوب التاريخي، يحتاج عالم السياسة إلى أن يعرف الكثير عن جوانب الطبيعة البشرية في الماضي، وعن كيفية تطور المجتمع الإنساني والفكر الاجتماعي. ويمكن تبرير حاجة الباحث السياسي هذه إلى كون الحياة المعاصرة في جميع جوانبها وميادينها قائمة – ولو جزئيا- على الحياة السابقة،كما أنها تمثل امتدادا طبيعيا لها، حيث أنه لا يمكن دراسة الواقع السياسي الحاضر – كالأنظمة السياسية- والاجتماعي والاقتصادي والديني، دون الرجوع إلى الماضي ومعرفة امتداده التاريخي وتطوره الذي أوصله إلى هذه اللحظة.[51] وبسبب صعوبة ملاحظة ما جرى في الماضي - بشكل مباشر- من أحداث وتفاعلات في عالم السياسة وباقي المجالات الاجتماعية، يجد الباحث نفسه مضطرا إلى الاستعانة بالأسلوب التاريخي وأدواته المساعدة لتجاوز هذه الصعوبة.

يهدف المنهج العلمي التاريخي إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية، معتمدا في الأساس على الوثائق والمستندات والأرشيف والآثار الخاصة بالموضوع محل البحث. كما يعنى بتسجيل ووصف الاحداث المذكورة وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة لفهم الحاضر وتوقع مسارات المستقبل.

اعتبارات Considérations تطبيق أسلوب البحث التاريخي:

[50] موريس أنجرس، مرجع سابق، ص. 98.
[51] معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، ص47.

بالنظر لخصوصية أسلوب البحث التاريخي الذي يراكم صعوبة على صعوبات البحث في العلوم الاجتماعية المتسمة بالتعقيد، فإن هناك مجموعة من الاعتبارات يجب أخذها في الحسبان عند محاولة إجراء البحث العلمي التاريخي، ومنها:[52]

- إن الحقائق والأحداث والبيانات ليست غاية في حد ذاتها، بل وسيلة للوصول إلى نتائج قائمة على التحقيق والإثبات والتفسير.
- إن المادة التاريخية ليست تجربة يمكن إعادتها والتأكد من صحتها، فما هو موجود من رصيد متنوع كسجلات وآثار باقية، ومشاهدات وروايات وشهادات، يحتاج إلى معايير دقيقة للنقد الداخلي والنقد الخارجي للتحقق من صحته وصدق مضمونه.
- إن معظم الظواهر والأحداث التاريخية لا يفسرها سبب واحد تفسيرا كافيا، بل إنها تخضع للتعددية السببية، وهذا يدعو الباحث إلى عدم الاعتماد على أهم الأسباب والظروف المسببة للحادثة، بل يجب ان يلتفت إلى كل ما يرتبط بها ويتفاعل معها.
- على الباحث – في ظل هذه الظروف وغيرها- أن يتمسك بالروح العلمية وأن يتحلى بمميزاتها، خاصة منها الامانة والموضوعية والتفتح الذهني وتوخي كفاية الأدلة للتوصل إلى النتائج والأحكام.

إجراءات البحث التاريخي:

إن البحث التاريخي يبدأ برغبة لدى الباحث في اختيار موضوع معين ثم يبدأ في التنقيب عن المصادر المتعلقة بموضوعه، ثم تتلو عملية الجمع عملية النقد، ثم يستند إلى نتيجة ذلك إلى في الحكم على العصر الذي يدرسه.[53] وسنخاول التعريج على تلك المراحل بقليل من التفصيل:

1/ التعرف على المشكلة البحتية وتحديدها:

2/ جمع المادة التاريخية:

أ/ المصادر الأولية (الأصلية)

[52] رحيم يونس كرو العزاوي، **مقدمة في منهج البحث العلمي** (عمان: دار دجلة، 2007) ص. 79.
[53] محمد شلبي، منهجية التحليل السياسي، مرجع سابق، ص. 60.

كلما اتسعت الفجوة الزمنية بين الظاهرة وعملية البحث التاريخي، تضاءلت حظوظ العثور على المصادر الأصلية، إلا أن العلوم الاجتماعية تتوفر على العديد من المصادر التي تعود إلى أصل نشأة الظاهرة كالمخطوطات والآثار المادية، بالإضافة إلى الشهادات الحية للأفراد الذين عاصروا الظاهرة، او كانوا هم الظاهرة محل البحث بالذات.

ب/ المصادر الثانوية:

المصادر الثانوية هي تلك التي تتعلق بالمعلومات المأخوذة عن شخص لم يشهد الحادثة مباشرة، بل نُقلت له، وقد تكون تلك المعلومات منقولة له عبر سلسلة تصل إلى أربعة أو خمسة أجيال. وما يلاحظ على هذا النوع من المصادر هو أن الوثيقة التاريخية تصبح أقل قيمة كلما تعدد وسطاء نقلها، وذلك جراء ما قد يصيبها من تشويه وتحريف وحذف وزيادة جراء النقل وتعدد مراحل تداولها.

يمكن أن تتأتى معلومات المصادر الثانوية للباحث عنها من المؤلفات ودوائر المعراف، والصحف والدوريات، وكل المؤلفات التي عالجت موضوعات تاريخية في غير عصرها.

3/ النقد الداخلي والخارجي:

لا يمكن لأسلوب البحث التاريخي أن يدعي الصلابة في نتائجه إلا إذا اعتنى فيه الباحث بمرحلة أو خطوة النقد الداخلي والخارجي للمادة العلمية التي يجمعها. فلا يكتفى في إطار هذا النوع من الأساليب والطرق البحثية بمجرّد النقل والرواية بل يجب ان يتعدى ذلك إلى التقد والتفسير والتعليل للأحداث. بعبارة أخرى يجب تجاوز الأسلوب الوصفي الذي يقتصر على ذكر الأحداث ووصفها بمعزل عن كل اعتبار لطبيعة الظواهر وما يتحكم فيها من قوانين.

ولن نجد أفضل من أن يبيّن لنا واضع علم التاريخ بنفسه ما يقصده بفنّه هذا، وخاصة المنهج أو الطريق المسلوك فيه وخطواته المكوّنه له، إذ يقول العلامة عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته ما يلي:

" اعلم أن فنّ التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا ، فهو محتاج إلى مآخذ ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يقضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا

اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاّا وسمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".[54]

فالنقد القائم على التحليل والتمحيص والتوثيق: هي خطوة يقوم فيها الباحث بتمحيص الوثائق من أجل التحقق من صحة نسبتها إلى العصر، وإلى الأشخاص المنسوبة إليهم.

1/ النقد الخارجي:

وتتلخص مهمة الباحث فيه في الكشف عن صحة الوثيقة أو تفسيرها، ومعرفة الدوافع النفسية لكاتبها، ومقدار الصدق لديه وغير ذلك، وقد قسّمه العلماء بدوره إلى قسمين:[55]

نقد الاستعادة: ويركز على التحقق من صحة الوثائق التي بحوزة الباحث بشأن واقعة من الوقائع، وذلك عبر استنطاق الوثيقة بأسئلة مفادها هل الوثيقة صحيحة وأصلية أم مزيفة، هل هي خالية من الزيادة والنقصان أم لا؟

نقد المصدر: يقوم فيه الناقد – بعد استخلاص النص الأصلي- بعملية التوثيق لمصدرية هذا النص إلى صاحبه، فيبيّن مصدر الوثيقة ، ومن هو مؤلفها وتاريخها. ويكشف عن عميات الانتحال ودوافعها، وهل كان سببها الترويج لمذهب معين؟ أم كان سببها رواج الموضوع واشتهاره بسبب نسبته إلى عالم له سمعته الكبيرة؟ أم كان السبب هو رغبة الشخص في إعلاء شأنه واشتهار اسمه بنسبة عمل عظيم القيمة إلى نفسه.

2/ النقد االداخلي:

وينصب هذا النقد على المضمون الذي تحتويه الوثيقة، وبيان ما قصده صاحب الوثيقة من هذه الوثيقة، ثم معرفة صدقه في الرواية سواء كان شاهد عيان ام كان ناقلا عن غيره. فينبغي معرفة ما إن كان في إمكانه حقا أن يروي الحادثة كما شاهدها دون تزييف إرادي أو انخداع لا إرادي.

إذن يهتم النقد الداخلي بالمضمون والمعلومات التي تحتويها الوثيقة ومعانيها، وبالثقة العامة في المعلومات الموجودة فيها أو عدم الثقة فيها. فبعد الأصالة يأتي دور صحة المعلومات.

[54] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة (بيروت: دار إحياء الثرات العربي ، 1998)، ص. 9.
[55] منهجية البحث العلمي وضوابطه، ص. 54.

4/ تعليل الوقائع والأحداث عبر تفسيرها.

في هذه المرحلة لابد أن ينتقل من عملية جمع البيانات والمعلومات والمصادر إلى مرحلة التفسير بالربط بين الوقائع وبين الأوضاع السائدة في تلك الحقبة الزمنية. فقد يكون للوضع الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، أو للفكر المنتشر ، وحتى لطبيعة الأشخاص المتحكمين هي المتغيرات المستقلة في البحث التاريخي.

باختصار فإن خطوات الأسلوب العلمي التاريخي، هي تحديد المشكلة وصياغة الفروض وجمع البيانات وتحليلها وتدقيقها، ثم اختبار الفروض بالعودة إلى الحقبة التي وقعت فيها – وهذا خاص بالأسلوب التاريخي وحده كخيار للتنفيذ الخطوة الثالثة- وينتج عنها ذغثبات اتفاق تلك الفروض أو عدم اتفاقها مع الأدلة، ثم السعي إلى محاولة التعميم إن أمكن ذلك. وفي الأخير تتم كتابة تقرير البحث وعرض النتائج.

كخلاصة يمكن القول بأن أسلوب البحث التاريخي هو الذي يطبع العمل العلمي بطابعه ويلوّنه بلونه ويحدّد وصفه وصفته، ففي علاقة تبادلية الاتجاه بين البحث والأسلوب المعتمد في إنجازه، إذا كان البحث يتطلب الاعتماد على قواعد التنقيب عن الحقائق التاريخية فإنه لا يجد الباحث هنا مناصا من اللجوء إلى الأسلوب التاريخي احتراما للملاءمة المنهجية التي عرفناها سابقا. وهنا سيكتسب البحث الصفة التاريخية ويقال عنه إته بحث تاريخي.[56]

إن الأسلوب التاريخي هو الذي يدرس ظواهر الماضي، فيقوم الباحث بالتنقيب عنها في وثائق التاريخ، لأنها ظواهر لا تقع مباشرة تحت الملاحظة ولا تتكرر مطلقا على نمط واحد، فيقوم الباحث سعيا وراء الإجابة عن مشكلته البحثية، بجمع الوثائق محاولا التحقق منها بالاعتماد على طريقتي التحليل والتركيب العقليين، وذلك كله بهدف البحث عن العلاقات السببية بين الحوادث الماضية، وكذلك بينها وبين الواقع الراهن.

[56] علي عبد الرازق جلبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2012)، ص. 20.

4/ المنهج التجريبي:

يعتبر المنهج التجريبي الأسلوب العلمي الحديث الأكثر انتشارا ورواجا في العلوم الطبيعية، وهو أهم ما تمخضت عنه النهضة العلمية الحديثة في أوروبا من معطيات فكرية. وقد نشأ هذا المنهج في القرن السابع عشر على يد " فرانسيس بيكون Francis Bacon " بتأليفه كتابه المعروف بـ: الأوركانون الجديد Novel Organun الذي نُشر عام 1620م. ويقول العلماء بأن هذا الكتاب قد أحدث نقطة تحول هامة في التاريخ العلمي لأوروبا، وصاغ بيكون فيه قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح.[57] ومن نتائجه أن سيطر المنهج الاستقرائي سيطرة كاملة على طرق التفكير لدى العلماء في العلوم الطبيعية.

بعد النجاح الذي حازه هذا المنهج، سارع علماء وباحثي العلوم الاجتماعية والإنسانية إلى تطبيقه، مع إحداث بعض التحويرات والتعديلات عليه كي يتلاءم مع طبيعة الظواهر التي تقع في دائرة حقولهم العلمية.[58]

وقد ارتكز الطرح الخاص بالمنهج التجريبي بهذا المعنى الذي صاغه بيكون على فكرة ضرورة تخليص العلم مما أسماه الشوائب الدينية – يقصد بذلك تعاليم الكنيسة الكاتوليكية- وضرورة إخضاعه بكلياته وجزئياته **للملاحظة العلمية**. وهي الفكرة نفسها التي تدعوا إلى ضرورة أن يقوم العلم على أساس وضعي بعيدا على كل التأثيرات الميتافيزيقية والدينية.

بعد بيكون وما أحدثه كتابه المذكور، ساهم كتاب آخر صدر في القرن التاسع عشر، في إرساء قواعد المنهج التجريبي رسوا وثيقا ومثينا، إنه كتاب " مذهب المنطق A system of logic " لصاحبه " جون استيوارت ميل John Stuart Mill "

قيمة المنهج التجريبي:

من النتائج السريعة لهذا التطور في مراحل التفكير الإنساني أن تم فصل العلم عن الفلسفة والدين. وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: " أما هؤلاء الفلاسفة الذين حاولوا أن يقدموا تعاليم عامة يجب على العالم اتباعها في بحثه، فلم يفيدوا شيئا في تقدم العلوم الخاصة".[59] وهي إشارة منه إلى أن التعاليم النافعة هي وحدها تلك التي تصدر عن التفاصيل الخاصة بالممارسة

[57] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 4.
[58] عبد الهادي الفضلي، أصول البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 55.
[59] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 8.

التجريبية في علم معين بالذات. فالفلسفة قد أثقلت العقل بخليط من التعاليم والقواعد الغامضة أو غير القابلة للتطبيق. وبهذا يجب إبعادها عن ميدان العلم، وقصر مجال العلم على ما يتم ملاحظته في الواقع فقط، وبذلك قصر اعتماده على المنهج التجريبي فقط. وفي نظر " كلود بيرنار، أن الملامح الرئيسية التي يمكن الانطلاق منها في هذا الإطار هي:

- العلم لا يحصل إلا في المخبر أو المعمل، ووفقا للحاجة العلمية.
- العلم يجب ألا يسبق في ذهن العالم بمذهب فلسفي معين يسير وفقا له في أبحاثه.
- المناهج تختلف باختلاف العلوم، لأن لكل فرع علمي خصوصيته التي تميزه عن غيره، وكذلك علماؤه.

تعريف المنهج التجريبي:

وفقا لمقاربة **تعددية طرق وأساليب البحث ضمن أحادية المنهج العلمي**، يقصد بالمنهج التجريبي طريقة البحث التي تعتمد على **التجريب أو التجربة** في تنفيذ الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي. وفي هذا الإطار يهدف المنهج أو الأسلوب التجريبي إلى فحص واختبار الفروض العلمية سعيا وراء إقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر والمتغيرات. أو هو طريقة لدراسة موضوع بحث بإخضاعه للتجربة وجعله دراسة قائمة على السببية.[60]

وإن أردنا تعريفا بالخصائص لهذا الأسلوب، يمكن القول بأنه عبارة عن مجموعة من التصميمات البحثية التي تستخدم التلاعب Manipulation والاختبارات التي يتم التحكم فيها لفهم العمليات السببية، وبشكل عام، يتم التعامل مع واحد أو اكثر من المتغيرات لتحديد تأثيرها على متغير تابع.

متى يمكن اللجوء إلى التجريب في العلوم الاجتماعية؟

عادة ما يستخدم البحث التجريبي في الحالات التالية:

- في البحوث التي تدرس الأبعاد السياسية والنفسية والاقتصادية لسلوك الإنسان (بعد سلوكي)
- إذا كان هناك قبول للطريقة التجريبية من طرف المشكلة البحثية وهدف الدراسة، بحيث ينتظر منها ان تقدّم نتائج جيدة لجعل الاستدلال السببي ممكنا.

[60] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص. 102.

- إذا كانت هناك اولوية زمنية في العلاقة السببية (السبب يسبق التأثير)
- إذا كان هناك اتساق في العلاقة السببية (سوف يؤدي السبب دائما إلى التأثير نفسه).

قواعد المنهج التجريبي:

أقام العلماء التجريبيون في إحدى المساهمات التأسيسية للمنهج التجريبي هذا الأخير على ثلاثة قواعد أساسية، وهي:

1/ قاعدة السيبية:

وتعني أن العلاقة بين المتغير المستقل و الظاهرة كمتغير تابع هي "علة ومعلول، أو سبب ونتيجة"، وللاستدلال على هذه العلاقة يجب توفر الأدلة التالية:

• **دليل المتغير الاقتراني:** وذلك لإثبات ارتباط المتغير التابع (ص) بالمتغير المستقل (س)، إما ارتباطا تبادليا طرديا أو عكسيا، أو ارتباطا سببيا.

• **دليل الترتيب الزمني للحوادث:** وذلك بأثبات أن المتغير المستقل (س) قد سبق المتغير التابع (ص) من الناحية الزمنية، وهنا لا يمكن أن نعتبر (س) سيبا في حدوث (ص) إلا إذا سبقتها من الناحية الزمنية، فقد تثبت التجربة تبادل مواقع (س، ص) وهنا تكون العلاقة تتناسبية.

• **دليل استبعاد العوامل السببية المحتملة:** إذ يحدث بعد القيام بالتجربة، ظهور عوامل ومتغيرات جديدة عملت إلى جانب المتغير المستقل (س) على إحداث التأثير بالمتغير (ص)، وهنا يفحص الباحث هذه المتغيرات الجديدة، ليصل إلى استنتاجه النهائي حول الفرض الذي بدأ منه دراسته. ويطلق على تلك المتغيرات التي يجب عزلها وتحييد تأثيرها، بالمتغيرات الدخيلة أو الوسيطة.

وعلى الرغم من ترابط الأدلة وظرورتها في عملية تفسير النتائج والأستنتاج، إلا أنها لا توفر في كل الأحوال التأكيد المطلق على العلاقة السببية. ولكن يمكن القول أن الفرض يعتد به، بينما لا يمكن القول أن الفرض قد ثبت صحته كما هو الحال في العلوم الطبيعية.

2 / قاعدة الضبط:

وتعني التحكم في جميع المتغيرات التي قد تؤثر في إجراء التجربة، أو تؤثر في دقة نتائج العلاقة السببية، فيما عدا المتغير المستقلويتم التحكم في المتغيرات الأخرى عن طريق المضاهاة أو التعامل والتوزيع

العشوائي. ويقصد بالمضاهاة إجراء المقارنة بين أفراد المجموعة البحثية للوصول إلى التماثل بين مفرداتها قدر الإمكان، وخاصة في المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في عمل المتغير المستقل أثناء إجراء التجربة، مثل السن والمستوى التعليمي والمهنة والدخل .. الخ. أما التوزيع العشوائي فهي عملية تأتي بعد المضاهاة ويقصد بها أن يعطي كل فرد فرصة متكافئة لأن يكون ضمن مفردات المجموعة الضابطة او المجموعة التجريبية، وذلك باحترام إجراءات وشروط المعاينة الاحتمالية التي سبق الحديث عنها.

3/ قاعدة التجريب:

وهذه القاعدة هي جوهر الأسلوب التجريبي، وتعني تصميم التجربة أو مجموعة التجارب وفقا لمتطلبات الدراسة، وذلك من أجل اختبار ومعالجة المتغيرات قيد البحث، بحي يكون الهدف الأساسي هو التعرف على العلاقة السببية بين المتغير المستقل و المتغير التابع، وذلك عن طريق استخدام القياسات القبلية والبعدية على المجموعات الضابطة و التجريبية.

أركان أساسية في المنهج التجريبي:

أرسى جون ستيوارت ميل طائفة من القواعد التي يسترشد بها الباحثون في اختبار الفروض أو فحصها وكشف الارتباطات والعلاقات والقوانين التي تنظمها، وهي:

- طريقة الاتفاق.
- طريقة الاختلاف.
- طريقة التلازم في التغير.

أنواع التصميمات التجريبية:

تعتبر التصميمات التجريبية بمثابة خطة أو استراتيجية عمل للتحقق من صحة الفروض. أي أنها لا تخرج عن عملية البناء التقني المذكورة سابقا. ولما كانت التقنية المفضلة ضمن الأسلوب التجريبي هي التجريب في حد ذاته، فإن مخطط التجربة سيكون هو الأداة التي يجب بناوها.

وضمن محاولات الاعتماد على الأسلوب ال+تجريبي في العلوم الاجتماعية والسياسة منها بالأساس، يلجأ العلماء إلى الأخذ بتوليفة من المخططات تحت مسمى التصميمات التجريبية. وتنقسم التصاميم

التجريبية وفق عامل الزمن الذي تجرى فيه التجارب من جهة، وعامل عددي مرتبط بعدد المجموعات وطبيعتها بدلالة المتغير المستقل. وهنا سنعتمد على التقسيم الذي ذكره الدكتور " كمال المنوفي" الذي يذكر فيه كثيرا من التصميمات المستخدمة في بحوث العلوم السياسية، والتي من أهمها:

1- التصميم القبلي – البعدي باستخدام مجموعة واحدة: The one group pretest-posttest design

مفاده أن يستخدم الباحث المجموعة نفسها من الأفراد المشكلون لعينة البحث، فيقيس أولا اتجاههم حيال موضوع أو حدث ما، ثم يخضعهم للمتغير المستقل الذي يريد معرفة أثره، وبعد ذلك يقيس اتجاهاتهم من جديد، فإن حصل اختلافا في النتيجة،أرجعه إلى التعرض للمتغير المستقل.[61]

مثال إذا أردنا معرفة تأثير الحملة الانتحابية على السلوك التصويتي لمجموعة من الشباب، عندئذ نختار عينة منهم ونستطلع درجة اهتمامهم بالمشاركة في الانتخابات المقبلة، ثم نقوم بتعريضهم لكل خطابات وتجمعات الحملة الانتخابية لمترشح ما كمتغير مستقل بالنسبة للدراسة. وفي يوم الاقتراع نقيس درجة ونسبة مشاركتهم و إقبالهم على مراكز التصويت. فإذا تبيّن أن هناك اختلافا واضحا بين استطلاعات آرائهم من جهة ومشاركتهم الحقيقية من عدمها من جهة أخرى، يمكن الاستنتاج بأن السبب في ذلك هو الحملة الانتخابية أو المتغير التجريبي.

2- التصميم القائم على المقارنة الإستاتيكية بين مجموعتين: Static Group comparison Design

قوام هذا التصميم أن يقارن الباحث بين مجموعتين تعرّضت إحداهما للمتغير المستقل، بينما لم تتعرّض الأخرى له. ويفسّر الاختلاف بين المجموعتين في ضوء هذا المتغير المستقل.

وفي المثال السابق يختار الباحث مجموعة أخرى لم تتعرض أصلا للحملة الانتخابية ثم يقارن نتائج المشاركة بين المجموعتين، وفي حال وجود اختلاف يستنتج بان السبب هو المتغير التجريبي الممثل بالحملة الانتخابية.

يعاب على هذا التصميم أن المجموعة التجريبية قد تكون مهتمة أصلا بالتصويت والمشاركة السياسية عموما، وبالتالي فإن ارتفاع نسبة مشاركتها قد لا يكون له علاقة بالحملة الانتخابية. كما أن

[61] كما المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة، مرجع سابق، ص. 93.

هذه المجموعة قد تكون تهافتت على التصويت لأسباب أخرى موازية لعملية الحملة الانتخابية، كأن يكون المترشح من الأقارب أو الزملاء أو من الاتجاه السياسي نفسه، أوغيرها من المتغيرات الوسيطة.

3- التصميم الكلاسيكي القبلي- البعدي باستخدام مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة .Pretest-Posttest with Experimental -control group

وضع هذا التصميم لتلافي وتفادي الكثير من عيوب التصميمين السابقين، فهو يتضمن استخدام مجموعتين يتم انتقاؤهما من مجتمع الدراسة الأصلي بطريقة المعاينة الاحتمالية لضمان التكافؤ بينهما في كل الوجوه (السن، الجنس، المستوى التعليمي ، الانتماء الاجتماعي والسياسي ....) بحيث تسمى إحداهما بالمجموعة التجريبية، والأخرى بالمجموعة الضابطة. وبعدها تقاس اتجاهات أو آراء أو مواقف المجموعتين معا قبل التعرض للمتغير المستقل، ثم في المرحلة المهمة يتم إدخال المتغير المستقل على المجموعة التجريبية دون المجموعة الضابطة أو المراقبة. ويعاد قياس الاتجاهات والآراء والمواقف بعد ذلك. فإذا وُجد فرق بين القياسين، ردّه الباحث إلى المتغيّر التجريبي.

إذا أردنا مثالا على هذا التصميم، نعد للمثال السابق الخاص بمجموعة الشباب المراد قياس نسبة مشاركتهم في الانتخابات كمجموعة تجريبية باعتبار اننا اخترناها بطريقة المعاينة الاحتمالية، ثم نختار مجموعة اخرى بالطريقة والصرامة نفسها مع مراعاة التكافؤ في كل الوجوه لضمان التماثل، ونسميها هنا بالمجموعة الضابطة او مجموعة المراقبة. بعدها نقيس أو نستطلع اتجاهاتهما حول الانتخابات المقبلة ونيتة المشاركة فيها، ونحتفظ بالنتائج. بعدها نسلّط الحملة الانتخابية على إحداهما فقط وهي المجموعة التجريبية دون المجموعة الضابطة، وبعد الانتخابات نقيس نسبة المشاركة لكليهما، فإذا وجد اختلافا مع نتائج القياس الأول، يمكن الاستنتاج بأن السبب وراء الاختلاف هو المتغير المستقل، المتمثل في مثالنا بالتعرّض لخطابات وشعارات الحملة الانتخابية.

4- تصميم سولومون ذو الأربع مجموعات Solomon Four Groups Design

مؤداه اختيار أربع مجموعات عشوائيا من مجتمع البحث مع مراعاة أكبر درجة من التماثل فيما بينها كما يلي: مجموعتان تجريبيتان (أ- ب) ومجموعتان ضابطتان (ج- د). وبعدها يتنم إجراء القياس فس البداية على مجموعة تجريبية (أ) ومجموعة ضابطة (ج) ثم يعرّض المجموعتين التجريبيتين (أ – ب) للمتغير التجريبي. بعد ذلك يجرى القياس للمرة الثانية على المجموعات الأربع. والمفترض أن تسجل المجموعتان التجريبيتان النتيجة نفسها في كلا القياسين. ويعزى الفرق بين النتيجتين إلى تأثير المتغير

التجريبي. ولكن بالنظر لصعوبة تطبيق هذا التصميم الرباعي، ناذرا ما يعتمده الباحثين في المجال السياسي لاستحالة تحقيق شرط الاحتمالية والعشوائية في انتقاء العينات.[62]

خطوات المنهج التجريبي: يمكن إجمالها فيما يلي:

- تحديد المشكلة البحثية محل التجريب.
- ثم صياغة الفروض السببية وإبراز المتغيرات.
- اختيار التصميم التجريبي المناسب والعينة التي تجرى عليها التجربة.
- جمع النتائج التجريبية وتحليلها وتفسيرها.
- كتابة تقرير البحث والإشارة إلى إمكانية التعميم.

معوقات المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية.

بالإضافة إلى كون إمكانية الاعتماد على خطوات المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية عموما والسياسية على وجه الخصوص، إمكانية ضئيلة، فإن جوانب الظاهرة السياسية التي تنقاد إلى هذا المنهج تبقى عملية التجريب فيها والنتائج المتوصل إليها بشأنها تواجه العديد من العراقيل، التي يمكن ذكرها كما يلي:[63]

- الصعوبة في تحديد كل المتغيرات التي يمكنها التأثير على التجارب، وإمكانية الغفلة عن بعض المتغيرات.
- إمكانية تعديل مجموعة الأفراد من سلوكهم وأدائهم عند الشعور بخضوعهم لتجربة مما يعمل على فشل التجربة.
- التردد والخوف من احتمال كشف أسرار الأعمال للمنافسين مما يعيق التطبيق لهذا المنهج.
- صعوبة اختيار الباحث للمجموعتين المتكافئتين.
- احتمالية الأخطاء التجريبية المتسببة في الوصول لنتائج غير صحيحة ودقيقة.

[62] كما المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة، مرجع سابق، ص، ص. 97، 98.
[63] منهجية البحث العلمي وخصائصها وتصنيفاتها، نقلا عن: www.manara.com/post/2095 تصفح المقال: 2023/03/06

المنهج شبه التجريبي:

عَنون محمد طه بدوي فصلا في كتابه النظرية السيتسية المعاصرة بما يلي: **مدى ملاءمة المنهج التجريبي لدراسة ظواهر العلوم السياسية.** وإن الملاحظ لهذا العنوان سيفهم مباشرة بأن هناك صعوبة ما، كما أن هناك استثناءات منهجية تفرض نفسها عند محاولة توظيف أدوات العلوم الطبيعية على ظواهر العلوم الاجتماعية، والسياسة منها بالخصوص.

وذلك لأن التجريب عبارة عن عملية عادة ما تكون معقدة، تجرى تحت مراقبة الباحث ومراقبته المباشرة. وهو ما قد يستحيل تطبيقه في العلو م السياسية للأسباب السابقة الذكر مضاف إليها الصعوبات المتعلقة بطبيعة الظاهرة السياسية عموما. فالظواهر السياسية ليست في كينوناتها مجرد أشياء مادية او حسية بحتة كما هو الحال في أشياء عالم الطبيعة. وإنما هي مركبة من عناصر مادية ومعنوية معا. فالعناصر المعنوية فيها هي التي نتمثلها ونتصورها ذهنيا وضميريا.

يضرب محمد طه بدوي مثالا توضيحيا يبيّن في الفرق بين العناصر المحسوسة والعناصر المعنوية في الظاهرة السياسية، واختار أهم ظاهرة و أهم موضوع في علم السياسة وهو موضوع السلطة. هذا الأخير كظاهرة اجتماعية بأبعاد عديدة اهمها البعد السياسي، تشكل واقعا مركبا من عنصرين، هما السيطرة الفعلية المتمثلة في الاحتكار الفعلي لعوامل ووسائل الإكراه والعنف المادي في المجتمع، وهذا هو **العنصر المحسوس** فيها. أما تصوّرنا الذهني الجماعي – الضميري- لهذا الاحتكار كأداة لتحقيق المجتمع الآمن المنظم و الهادئ فهو **العنصر المعنوي** في الظاهرة. والمهم في الأمر أن هذا العنصر المعنوي هو الذي يجعل من السلطة كمظهر مادي عبارة عن ظاهرة اجتماعية هي السلطة السياسية الشرعية.[64]

فلما كان للجانب المعنوي حصة الأسد في أبعاد وعناصر الظواهر السياسية كان من الصعب أن تنقاد بسهولة لأداة التجريب. ذلك أن ضمور الجوانب المادية مقابل بروز العوامل المعنوية يخلع على هذه الظواهر درجة من الميوعة تعرّض الباحث فيها إلى اللجوء إلى الأحكام القيمية، أي إلى الحكم عليها من وجهة نظره الذاتية المحكومة بمتغيرات عقائدية مبتعدا عن الموضوعية.

وهنا تهيء الأحداث الاجتماعية ومرونة فواصلها إلى وضع مغاير للتجريب بالمعنى الصارم للكلمة، إنه وضع أدنى وأقل صرامة من التجريب. لأنه ببساطة لا تقوم العلاقات الاجتماعية على مجرد

[64] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 256.

الأحداث فقط وإنما تتمثل في شكل كبير منها في شكل " قيم" لا تنقاد للتجريبية. ومن أخطر معوقات الأسلوب التجريبي في علم السياسة: رفض قطاع كبير من قطاعات المجتمع السياسي كشف وتعرية اغواره وأسراره للباحث بداعي الحياء أو الخوف، ناهيك عن استحالة وخطورة محاولة الباحث القيام بذلك في بعض الحالات لدواعي أمنية متعلقة بالمصالح العليا للنظام السياسي.

أمام هذا الوضع اجتهد العلماء في ابتكار أساليب مناسبة، فاهتدوا إلى حل وسط بين التفسير والوصف، بين التجريبية والاتجريبية، فيما يعرف بالأساليب أو التصميمات **شبه التجريبية**.

دلالة الأسلوب شبه التجريبي:

التزاما بالطرح الذي تتبناه هذه **المطبوعة**، سيتم التعامل مع هذا العنصر على أنه أسلوب في البحث وطريقة، وليس منهجا كما سبق التوضيح. ويعرّف الأسلوب شبه التجريبي في البحث العلمي الاجتماعي عموما والسياسي على وجه الخصوص، على أنه أحد أنواع الأسلوب التجريبي، وفيه تتم محاولة دراسة العلاقة بين متغيرات البحث التي يتصورها الباحث ويريد فحصها، دون أن يقوم بتطبيق أي نوع من أنواع الضبط والتصرف، لأن الدراسة تتم كما هي في الواقع دون تغيير أو تحكم.

يقترب من هذا المعنى ما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مناهج البحث العلمي، حين تبنى تقسيما متعددا للتجريب، أفرد فيه جانبا كبيرا لما أسماه **التجريب العقلي**، وقد حدّد له موقعا وسطا بين المنهج التجريبي والمنهج الاستدلالي. ويبدو أنه قد اقتبس الفكرة من الفيلسوف والإبستيمولوجي " إرنست ماخ" وقد أعطى له تعريفا يقول بأنه بصورة عامة أن يقوم الإنسان في داخل عقله بكل الفروض والتحقيقات التي قد ييئس أو لا يتيسر له أن يقوم بها في الخارج. وقد قسمه بدوره إلى قسمين: تجريب عقلي خيالي، وتجريب عقلي علمي. وقد استحسن النوع الثاني نظرا لقيمته العلمية، التي تتجلى في أن فروضه تقوم على وقائع يجرب عليها الإنسان الأوضاع المختلفة، ويستخرج النتائج التي تؤدي إليها تلك الفروض، وكل ذلك يجري في داخل الذهن.[65]

إذا كان هذا النوع من التجريب ممكنا في العلوم الطبيعية والفيزيائية وكذا في الرياضيات، فإنه قد يمكن تحقيقه في العلوم الاجتماعية كذلك. وخاصة لما يتعذر على الباحث في الشأن السياسي مثلا أن يبني المخطط التجريبي في إطار تقنية التجريب نظرا لحساسية المواضيع السياسية، فحينذاك قد

[65] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 116.

يكون هذا الأسلوب التجريبي العقلي هو المخرج. كما أن الأسلوب شبه التجريبي لا يبتعد في معناه الواسع عن هذا الصنف الذي وضّحه الدكتور عبد الرحمن بدوي.

التصميمات شبه التجريبية:

نظرا لصعوبة البناء التقني التجريبي في العلوم الاجتماعية والسياسية، ابتكر العلماء تصميمات شبه تجريبية يمكن توظيفها في هذه الفروع العلمية، وقد اطلقوا على مجمل هذه التصميمات مصطلح " التجريب الطبيعي".

فإذا كانت التصميمات التجريبية سالفة الذكر تخضع لضرورة توافر ظروف تجريبية يصعب تحقيقها في كل الأحيان والحالات.، فقد لجأ العلماء إلى التجريب الطبيعي، وهو نوع من التجارب أو شبه التجارب التي قد يعيشها العلماء ويلمسوا آثارها في إطار خبراتهم، إلا أنها ليست من صنعهم ولا تدخل لهم فيها أبدا. وقد قيل إن التاريخ يعيد نفسه، أو إن الماضي مخبر الشعوب، وغيرها من الاصطلاحات التي تؤكد هذا المعنى.

إن الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب والنكبات والكوارث، كلها تعد حقلا خصبا للباحث والدارس والعالم يغترفون منه دراسة آثار عملاقة لا دخل لهم في تشكلها أو صنعها، إنه لا يمكن لأحد مهما بلغ من العلم والخبرة ان يغامر باصطناع أو افتعال تلك الظروف والحوادث والكوارث، بل إن أقصى ما يمكنه الاستفادة به منها هو اعتبارها تجارب سابقة يمكن الاستفادة منها في الحاضر ومقارنتها بما هو حاصل وماثل أمامه.[66] ومن أهم التصميمات شبه التجريبية المبتكرة في الحقل، نذكر ما يلي:

1- تصميم السلاسل الزمنية: Time Series Design

وهو تصميم شبه تجريبي، جوهره هو قيام الباحث بجمع بيانات عن فترة سابقة على حدوث المتغير المستقل/ التجريبي، وبيانات عن فترة لاحقة لحدوثه، وغذا وجد اختلاف، أرجعه إلى هذا المتغير. ولا يخفى ما في ذلك من مغالطة حيث يمكن أن تكون هي المسؤولة عن اختلاف النتائج. بل يتم الجزم بأن هناك العديد من تلك المتغيرات التي لم يأخذها الباحث في الحسبان، الشيء الذي سيكون له بالغ الأثر على نتائج البحث.

[66] محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي (بيروت: دار النهضة العربية، 1999)، ص.138.

1- تصميم قبلي- بعدي باستخدام بيانات سابقة ومجموعة واحدة: Separate Sample Pretest – posttest Design.

يمكن تصنيف هذا التصميم ضمن البحوث التجريبية وشبه التجريبية معا. وفيه ينقّب الباحث في الكتابات المنشورة وغير المنشورة عن بحث مشابه موضوعا ومنهجا سبق إجراءه، أو في ما سيمى الأدبيات السابقة، ويتّخذ من بياناتها أساسا للمقارنة مع بيانات بحثه. وهنا يمكن للمقارنة أن تعوّض التجربة كما هو شائع لدى علماء المنهجية.

إن البيانات السابقة في هذه الحالة هي بمثابة الاختبار القبلي، بينما الاختبار البعدي يجريه الباحث على أفراد عيّنته البحثية بعد تعريضهم للمتغير المستقل، فإذا وجد فروقا عزاها إلى تأثير هذا المتغير.

الملاحظ على هذا النوع من التصميمات أنه يتجاهل إمكانية اختلاف العينات وبناء اداوات البحث في الحالتين، فضلا عن إمكانية وجود متغيرات أخرى غير المتغير التفسيري الذي اعتمده الباحث، يمكن أن تكون هي المسؤولة عن الاح=ختلاف بين النتيجتين.[67]

2- تصميم دراسة الحالة Case Study Design

يقوم كما هو معلوم، على دراسة حالة واحدة أو أكثر دراسة وافية معمقة (قرار، موقف/ مشكلة...) دون أية محاولة جادة لمقارنة الحالة قيد الدراسة بحالة أو حالات ضابطة او مراقبة، ولا يسعى إلى الوصول إلى أية تعميمات. ولكن من خلال الدراسة يتضح أن الباحث يسعى لاختبار هذه الحالة وعرضها على عدة متغيرات ورد تطوراتها وخصائصها إلى عدة عوامل، مما يجعلها أشبه بالتصميمات التجريبية. حيث ينشأ عن دراسة الحالات قاعدة ضخمة من المعلومات قد تلفت انتباه الباحثين إلى اعتبارها بمثابة فروض يمكن اختبارها في بحوث سببية أشمل وأعمق.

[67] كمال المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة، مرجع سابق، ص. 98.

5/ المناهج الكمية:

عرفنا أن من أهداف العلم الأساسية، التصنيف. وفي أنواع البحث العلمي يوجد اتفاق على أن هناك معايير عديدة يتم الاستناد إليها من أجل تصنيف البحوث. فوفقا لمعيار الإجراءات مثلا يمكن أن نميّز في العلوم الاجتماعية بين البحوث التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو تكميمها وعدّها. وما دام البحث أو العلم بمنهجه لا بموضوعه، فإنه لدينا مناهج كيفية وأخرى كمية. وسبق أن أشرنا إلى أن هذا التقسيم هو من التصنيفات الكبرى للمناهج العلمية.

إذا كانت المناهج الكيفية تهدف بالأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة عبر حصر معاني الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات والأفعال التي تمت ملاحظتها ويتم التعامل معها كحقائق وظواهر اجتماعية يتم بناؤها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث، والتي يطلق عليها في العادة بحوث الفهم أو الفهم الأعمق لسلوك الإنسان وخبراته، ووصف عمليات بناء المعاني التي يستخدمها الناس وما هي تلك المعاني.[68]

فإن المناهج الكمية تهدف بالأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة.[69] والبحوث التي تسمى كمية هي من الأنواع التي تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية، منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، بحيث يتم فيها الاعتماد على الأدوات الإحصائية لجمع البيانات وتحليلها.[70]

على مستوى التسميات، يفضّل البعض استعمال عبارة المناهج الكمية، لكن البعض الآخر يميل إلى مصطلح الطرق الكمية. وأما عن وجهة نظر هذه المساهمة البيداغوجية فإنها تميل للأخذ بمصطلح الأساليب الكمية خلافا لما هو متداول اصطلاحيا حيث يتم اختزال الجميع في مصطلح المنهج الكمي.

تعريف الأسلوب الكمي:

لما كانت الأبحاث السياسية تتناول ظواهر اجتماعية وجماهيرية تتسم بالتداخل والتعقيد والحساسية وسرعة التغيّر، فإن الباحثين في هذا الفرع مطلوب منهم إعداد البحوث بكثير من الصرامة

[68] عامر إبراهيم قنديلجي و إيمان السامرائي، البحث العلمي الكمي والنوعي (عمان: دار اليازوري، 2018)، ص.34.
[69] موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص. 100.
[70] عامر إبراهيم قنديلجي و إيمان السامرائي، البحث العلمي الكمي والنوعي، مرجع سابق، ص. 34.

والإتقان إذا أرادوا الوصول إلى تحقيق أهداف البحث عموما، وإلا فإن الدخول في متاهات هو مصيرهم.

نتيجة لذلك تأتي الأساليب الكمية في البحوث السياسية كضرورة ملحّة من أجل اختصار الوقت والجهد والمال. ويوضّح العلماء بأن الأسالب الكمية هي الطرق المفضّلة في الدراسات الميدانية، حيث اتخذها الباحثون وجهة وسلكوها كاتجاه في إجراءاتهم العلمية لاستخلاص البيانات والنتائج العلمية مستندين إلى وحدات قياس دقيقة وطرق إحصائية معيارية في تبويب البيانات وجدولتها واستخراج النتائج.[71]

الأسلوب الكمي عموما هو التقدير الكمي الرقمي العددي لقدرات الإنسان وميوله واستعداداته ومهاراته وسمات شخصيته ومواهبه وخبراته وأدائه وإنجازه وتحصيله في مختلف المجالات. وكذلك التقدير الكمي لمشاعر الإنسان وعواطفه وانفعالاته وكافة استعداداته الخارجية والداخلية التي يمكن قياسها وملاحظتها إما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، كأن تعين آثار القدرة أو السمة كما تظهر في سلوك الإنسان.

ذلك لأن السلوك هو ما يمكن إخضاعه للملاحظة والتجريب والقياس، بحيث يكمن الاستدلال على ما وراءه من قدرات واستعدادات وميول وعواطف. لأن مثل هذه القدرات هي في جوهرها مفاهيم أو تصورات معنوية مجردة أو ذهنية لا يمكن إخضاعها للملاحظة والقياس والتجريب ولذلك يهتم علم النفس بدراستها وقياسها بطريقة غير مباشرة أي كما تظهر من خلال السلوك.

فروقات بين البحوث النوعية والبحوث الكمية:

قدّم الباحثان " قنديجلي والسامرائي" إطار تحليليا مقارنا مهما بين البحوث الكمية والبحوث الكيفية أو النوعية، وقد وقع ذلك في مجموعة من النقاط الجوهرية، تم حصرها كما يلي:[72]

- الاختلاف في المنطلقات والدوافع الاجتماعية: حيث يتبنى البحث الكمي نظرة تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية معزولة وبعيدة عن قيم ومعتقدات ومشاعر الأفراد يتم التعامل معها بادوات مناسبة كما سيأتي. أما البحث نوعي فيفترض وجود مؤثرات وعوامل وحوافز

[71] مصطفى حميد الطائي وخير ميلاد أبو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الإعلام والعلوم السياسية (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007)، ص.105.
[72] عامر إبراهيم قنديلجي و إيمان السامرائي، البحث العلمي الكمي والنوعي، مرجع سابق، ص.34.

ومثيرات عدة يتم بناؤها اجتماعيا عبر مختلف وجهات نظر الأفراد والجماعات في الموقف المطروح. ومن تلك الدوافع نجد ما هو اجتماعي وثقافي، وما هو ديني وعرقي، وغيرها وكلها تؤثر في الموقف المدروس مما يعقد من مهمة الباحث الذي يسعى لفهم ذلك التعدد العاملي في ظروفه التي يحدث فيها.

- من جانب آخر يسلّم البحث النوعي بأن السلوك الإنساني يرتبط بالبيئة التي تجرى بها نشاطات ومعالم البحث، ويعيش فيها المبحوثين، بينما تدعو البحوث الكمية إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد المعنيين بالبحث.
- من جهة الأهداف العلمية لكلا النوعين، تهدف البحوث الكمية إلى اختبار وفحص بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين من خلال بناء علاقات بين المتغيرات وقياس بعض المؤشرات والأبعاد المنتمية للمتغيرات، وكذا استخدام البيانات المتوافرة لإيجاد العلاقة الارتباطية أو السببية الخفية بين المتغيرات الخاضعة للتفكيك. كما تسعى البحوث الكمية للوصول إلى تعميمات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة، بحيث تهدف إلى تعميم النتائج على حالات أخرى. أما البحث النوعي فهو أكثر اهتماما بفهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم، بحيث يعتقد القائم بالبحث أن الأفعال الإنسانية وآراء الأفراد ومعتقداتهم تتأثر بالمواقف والبيئة التي تحدث فيها. ولا يهدف هذا النوع من البحوث إلى تعميم النتائج، بل يسعى ويركز على تعميق وتوسيع نتائج الحالة التي كثيرا ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون مشابهة، ولذلك نجد هذه البحوث تنقاد بسهولة لأساليب البحث الوصفية ودراسة الحالات.
- من حيث المنهجية الإجرائية، تجرى البحوث الكمية وفق إجراءات وخطوات تتابعية، ومخطط معد إعدادا محكما مسبقا، يسترشد به الباحث، بل ويبنيه بنفسه في إطار عملية البناء التقني، مثل المخطط التجريبي بالنسبة لتقنية التجريب، أو بناء السلاسل الرقمية بالنسبة لتقنية تحليل الإحصائيات، وأيضا يمكن بناء فئات التحليل إذا فضّل الباحث الاعتماد على تقنية تحليل المضمون. أما في الدراسات النوعية أو الكيفية فهناك قدر أكبر من المرونة فيما يتعلق بمشروع البحث وخطته الأولية، فالباحث هنا يقوم بعملية بناء تقني لإعداد الأداة المناسبة باستخدام تصميما طارئا في بعض الاحيان خلال عملية جمع البيانات ذاتها.[73] ويضربون مثالا بالفرضية في البحث النوعي، إذ أن الباحث لا يستطيع وضعها مسبقا إلا إذا

[73] عامر قنديلجي وإيمان السامرائي، البحث الكمي والبحث النوعي، مرجع سابق، ص. 37.

اتضحت له الصورة جيدا من خلال جمع البيانات ودراسة جميع العوامل والمؤثرات في الموقف المدروس أولا. ولا نبالغ إذا قلنا بأن البحوث الكيفية قد تفتقر في بعض الأحيان إلى الفرضية التي يمكن الاستغناء عنها بسهولة، على ان يتم تعويضها بهدف أو اهداف البحث كبديل لها. كل ذلك على عكس البحث الكمي الذي ينطلق فيه الباحث من الفرضية التي توجهه في جمع البيانات وعملية التجريب على وجه الخصوص.

- يعتمد البحث النوعي على نوع المعاينات غير الاحتمالية، بينما لا غنى للبحث الكمي عن الامعاينة الاحتمالية . كما الاستبيان في الغالب هو الأداة المفضلة في جمع بيانات البحث الكمي في العلوم الاجتماعية، بينما تكون الملاحظة البسيطة والمقابلات الشخصية هي الاداة الغالبة الاستعمال في البحوث الكيفية. هذا بالإضافة إلى أن لدور الباحث الأهمية القصوى في التفريق بين النوعين. إذ نجد دوره في البحث الكمي منفصلا، بينما يكون دوره مرناً في البحث النوعي.

تصنيف الأساليب الكمية:

تعني الطرق الكمية عند المختصين، "مجموعة الأساليب التي يتم من خلالها تطبيق استراتيجية المنهج الكمي، والمنهج التجريبي، ومنهج المسح الاجتماعي وقياس الرأي العام. وتقوم هذه الطرق على أساس التعامل مع كل ما له صلة بالبيانات الكمية وتستعين بالإحصاء والرسوم البيانية والأشكال الهندسية".[74] وبشكل أكثر دقّة وتخصيصا، يشيرون إلى التنوع والتعدد الذي يكتسي الطرق الكمية في العلوم الاجتماعية، ويذكرون أن اهم تلك الطرق كما يلي:[75]

- طريقة المسح الاجتماعي؛
- طريقة تحليل المضمون؛
- طريقة دلفي؛
- طريقة المؤشرات الاجتماعية؛
- طريقة القياس الاجتماعي أو السوسيومترية؛

[74] علي عبد الرازق جلبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر ، د ت)، ص. 127.
[75] علي عبد الرزاق جبلي، **مرجع سابق**، ص. 127.

- طريقة تحليل البيانات الإحصائية والبيانات الثانوية.

أسلوب المسح الاجتماعي (كأسلوب كمي) survey method

عرفه (هويتني) بأنه محاولة منظمة لتحليل وتأويل الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو لجماعة، وعرفه (مورس) بأنه منهج لتحليل ودراسة موقف أو مشكلة وذلك بإتباع طريقة علمية منظمة ويكون المسح دوما لدراسة موضوع ما في الحاضر وذلك بجمع البيانات وتفسيرها ثم تعميم النتائج بهدف التطبيق العلمي.

يستفتح الدكتور " معن خليل عمر" كلامه حول منهج المسح الاجتماعي قائلا: " المسح الاجتماعي يشبه العينة بإطاره العام، لكن الفرق الوحيد بينهما هو " حجمهما" أي ان حجم المسح الاجتماعي أكبر بكثير من حجم العينة".[76]

ونشير هنا إلى " معن خليل عمر" يقصد بالعينة عملية المعاينة L'echantiage، وفق الطريقة التي تم تعريفها بها سابقا. وهي الطريقة التي يتم من خلالها اختيار عينة للدراسة. فإذا كانت العينة هي الناتج الفعلي للمعاينة فهي تشترك مع منهج المسح الاجتماعي في الشق الإجرائي منه والمتمثل في مجموعة خطوات يتمها الباحث للحصول على بيانات ونتائج حول الظاهرة. فكلاهما يتعامل مع مجموعة من المفردات ليقيم الدراسة عليها ولو اخلفت أحجامهما كما ذكر في تعريفه.

خطواته وإجراءاته.

ويمر البحث المسحي بالمراحل التالية: مرحلة تعريف البيئة وبيان حدودها ومرحلة الوصف الدقيق ومرحلة التحليل وإيجاد العلاقة السببية بين العوامل المختلفة. وهناك عدة أنواع من البحوث المسحية منها المسوح الوصفية والمسوح التفسيرية، والمسوح الشاملة والمسوح بالعينة، وهناك المسوح العامة والمسوح المتخصصة.

الأسلوب الإحصائي كنموذج للدراسات الكمية:

ينظر للإحصاء على أنه فرع من فروع الرياضيات لأنه يستعين بلغتها الرمزية ويسلك مسلكها المجرّد، ويستخدم أساليبها وتقنياتها المتعددة في الموجودات الواقعية. ويذكر بعض الباحثين بأن الإحصاء وجد

[76] معن خليل عمر، **مناهج البحث في علم الاجتماع** (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004) ص. 51.

أصلا للتعامل مع المعطيات التجريبية، وهو تطوير خاص للنظرية الاستقرائية. وقد رفعه البعض إلى مستوى المنهج حتى قيل بأن المنهج الإحصائي والمنهج العلمي هما تسميتان لمسمّى واحد.[77]

وإذا كان الإحصاء- حسب البعض- منهجا. فإن أغلب الباحثين يصفونه كذلك بالتقنية لا بالمنهج، فهو تقنية غير مباشرة يمكن أن تبنى لها أداة تسمى بالسلاسل الرقمية. وعند الذين يدرجونه ضمن المناهج، يجعلون للمنهج الإحصائي أهدافا وخطوات. حيث تتلخص الطريقة الإحصائية في الخطوات التالية:

- تحديد المشكلة.
- صياغة الفروض التي تقرر وجود الارتباطات بين الظواهر أو تنفيها.
- القيام بالتعريفات الإجرائية لإعطاء الظواهر مؤشرات كمية.
- جمع البيانات الإحصائية اللازمة وتصنيف البيانات وترتيب أو تجميع المعلومات.
- عرض وتمثيل البيانات في جداول أو رسوم بيانية.
- تحليل المعطيات، وذلك وفق طرق وكيفيات محددة، كتحليل البيانات من أجل معرفة اتجاهها العام، أو لإيجاد القيمة المتوسطة لها، أو إيجاد قيم تباعدها أو تشتتها بعضها عن بعض، أو مقارنتها وإيجاد ترابطها وما شابه ذلك.
- تفسير النتائج، وذلك بإبراز ما تعنيه هذه الأرقام، وإظهار الارتباطات ونمطها إن أثبتت، أو نفيها إن غابت.

جوانب من توظيف الإحصاء في العلوم السياسية:

لقد كان قديماً يثار جدال نحو عدم إمكانية قياس الأمور العاطفية والمعنوية والداخلية في الإنسان، ولكن علم النفس استطاع أن يبتكر من الوسائل ما يمكنه من قياس كافة استجابات الإنسان الداخلية والخارجية كالعواطف والمشاعر والآراء والاتجاهات وذلك قياساً كمياً ورقمياً.

[77] رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000)، ص. 258.

يفيد هذا المنهج الدارس السياسي في وصف وتفسير العديد من أنواع السلوك السياسي التي يمكن التعبير عنها كميا، كالسلوك التصويتي، والانتماء الحزبي، وأثر وسائل الإعلام في السلوك السياسي، ودراسة العلاقة بين الوضع الداخلي والخارجي وتفاعلهما، وغيرها.[78]

[78] محمد شلبي، منهجية التحليل السياسي، مرجع سابق، ص. 97.

المحور الثالث:

الإقترابات المنهجية.

-الاقتراب النسقي.

-البنائية الوظيفية.

-اقتراب الجماعة.

-اقتراب النخبة

-اقتراب الطبقة

-اقتراب صنع القرار

-اقتراب الاقتصاد السياسي

تنبع أهمية وقيمة كل نظرية سياسية أو اقتراب من كونه يمثّل بناء ذهنيا تجريديا لعلاقات الحياة السياسية المتفاعلة في جملتها وعلى تباين الزمان والمكان والحضارات والثقافات. شأنها في ذلك شأن الأدوات التحليلية الاستقرائية – كإطار الملاحظة، ودليل المقابلة، واستمارة الأسئلة في الاستبيان، وحتى مخطط التجربة وغيرها - هي بناءات أداتية يبنيها الباحث أو العالم ليواجه بها واقع الظاهرة.

وتتمثّل وظيفة هذه الاقترابات - بالإضافة لكونها تمثل وسائط بين الباحث والظواهر- في كونها تؤدي بالدرجة الأولى دور المرشد في فهم الحياة السياسية من حيث هي كل، وفي تفسير علاقاتها. أو هي أداة تحليل علمي لواقع الحياة السياسية. وبما أنها كذلك، فإنها وباختلاف أنواعها الذي يرجع إلى اختلاف زوايا النظر إلى الظاهرة محل البحث، يتعيّن على واضعها أن يقيم بناءها على مجموعة من الفروض، التي تمثل خريطة تشريحية للحياة السياسية.[79]

إنّ المتمعّن في مجموعة المقاربات التي تضمنها محتوى هذه المادة، يمكنه أن يصنّفها إلى قسمين رئيسيين تشمل كل تلك المسميات المقترحة.

تضم المجموعة الأولى، ما يمكن أن نطلق عليه النظرية العامة للنظم أو الأنساق السياسية.

أمّا المجموعة الثانية فتضمن ما يمكن تسميته اقترابات الطبقة Class على تعدد مسمياتها. وهنا في هذه المجموعة الثانية قد يكون الأمر مختلفا قليلا عن مكونات المجموعة الأولى بالنظر لتناقض محتويات الفئة الثانية أنطولوجيا مع مصدرها كما سيتّضح في حينه.

ولكن الذي يجمع كل هذه المقاربات أكبر بكثير ممّا يفرقها. فلو أردنا تصنيفا ثنائيا آخرا لكل الاقترابات والمداخل المسايرة لنشأة علم السياسة والموازية للتطور الذي حصل في مسار دراسته تبعا لتغيّر موضوع الدراسة السياسية. فإننا سنضع كل عناصر الفئتين السابقتين في جهة تحت مسمى المقاربات الجديدة، والمقاربات التي سبقتها في الوجود تحت مسمى الاقترابات التقليدية في الجهة المقابلة.

هذه المقاربات الجديدة نسبيا، تشترك وفي الوقت ذاته ترتبط في تحليلها للواقع السياسي، و تنظيرها للحياة السياسية بالنظرة السلوكية. ويشرح " محمد طه بدوي" ذلك بقوله إن هذه المقاربات تنطلق في بنائها النظري للواقع السياسي من كونه مجموعة نشاطات تحرّكها دوافع وأحاسيس، وأنها

[79] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 334.

تنظر للحياة السياسية من ثنايا سلوكات الأفراد والجماعات دون أي تمييز بين مواقعها الرسمية واللارسمية. وهو عكس ما كان عليه الحال في المقاربات التقليدية أين يقتصر إلقاء الضوء على الهيئات الرسمية. إنما يتم النظر فيها جميعا – رسمية وغير رسمية- من ثنايا نشاطاتها، ذلك ان الهيئات الرسمية/ الحكومية لا تعدوا أن تكون مجرد جماعة Group كغيرها من جماعات المصالح، ومن تم قوة من قوى مجتمعها المتفاعلة.[80]

الاقترابات التقليدية:

قبل التطرّق إلى الاقترابات السلوكية في التحليل السياسي، وجب التذكير بأن حقل علم السياسة قد مر بمراحل سابقة تميّزت بتوظيف مقاربات تقليدية متعدّدة تماشيا مع طبيعة موضوع علم السياسةرفي تلك المرحلة ، ونقصد به الدولة كموضوع وكمؤسسة سُلّط عليها البحث. ومن أهمّها:

- **الاقتراب الفلسفي (المعياري):** النظر إلى النظام السياسي بنظرة معيارية، بمعنى هل هو صالح أم فاسد؟ هل هو جيد أم سيء؟ أي تقييم ماهو جيد وسيء. فهو لا يقوم على دراسة علمية دقيقة، ومستوى الانطباعات الشخصية فيه عالية جدا. فكل ينظر إليه حسب تفضيلاته وتصوراته هو. وجل الكتابات الإريقية كانت تعتمد هذا الاقتراب في دراسة النظم، إذ كانت تناقش قضية ما يجب أن تكون عليه النظم.
- **الاقتراب التاريخي**. وذلك بدراسة النظام السياسي وتطوره عبر حقب زمنية مختلفة. كدراسة النظام السياسي الجزائري عبر المراحل التاريخية التي مر بها.
- **الاقتراب المؤسسي**. الذي يعنى بالمؤسسات. فالنظام السياسي وفق هذه المقاربة هو مجموعة من المؤسسات، كمؤسسة الرئاسة والمؤسسة الحكومة، والبرلمان، المؤسسات البروقراطية كوزارة الخارجية والدفاع والمالية. وهي مجموعة مؤسسات موجودة ماديا في المجال السياسي.

الاقتراب القانوني. رؤية النظام السياسي على أنه وثيقة أو مجموعة وثائق قانونية. فالنظام السياسي حسب القانونيين هو الدستور ومجموعة القوانين التي تكمّل الدستور والتي تعالج كيف نمارس الحقوق السياسية، وكيف تنظم العلاقة بين الدولة والمجتمع،. وبين المؤسسات

[80] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 320.

الحكومية فيما بينها. وهذا المقترب كغيره يعاني من النظرة القاصرة. فليست كل تفاعلت النظم السياسية قانونية تعالج وفق الدستور لوحده.

ضمن المقاربات التقليدية: يستحسن أن نركّز على إحداها بشيء من التفصيل، وعادة ما يتم اختيار الاقتراب المؤسسي. ويعود ذلك إلى مجموعة أسباب، لعل أهمها أن المؤسسة كمفهوم لا تنفصل عن موضع علم السياسة في بداية تبلوره كعلم. فالموضوع الأول لعلم السياسة في إطار المناهج والمداخل التقليدية كان ولا يزال هو **" الدولة"**.

وما دامت الدولة هي مؤسسة المؤسسات بتعبير جون بوردو، فإنه لابد أن يسعى العلماء لتطوير مقترب مؤسساتي يصف ويفسر الدولة وباقي مؤسساتها من أجل فهم الظاهرة السياسية قديما وحديثا.

الاقتراب المؤسسي في دراسة الظاهرة السياسية:

يعد التحليل المؤسسي من أقدم المداخل أو المقاربات المستخدمة في دراسة الظاهرة السياسية. وجاء هذا الاقتراب كرد فعل على الاقتراب التاريخي من جهة والمثالي القانوني في دراسة الظاهرة السياسية. ويمكن تصوير ذلك على شكل **نقاش تقليدي – تقليدي** إن صح التعبير، حيث أدرك العديد من علماء السياسة - قبيل الانخراط في العصر السلوكي - أن الظاهرة السياسية أكبر من أن تحصر في الأبعاد القانونية الدستورية، وهنا حدث تحولا هما في بؤرة التركيز، وأصبح الاهتمام منصبا على دراسة الحقائق السياسية – ولو في شكل أبنية وهياكل الدولة- كالمؤسسات التشريعية والتنفيذية والمحاكم، ثم دراسة القوى والإدارة والوظائف الخاصة بالقادة – وهي مقدمة للتحليل الوظيفي الذي سيعالج لاحقا- ناهيك عن نظم الانتخاب والأحزاب والبيروقراطيات.

وفقا له فإنّ التحليل السياسي ما هو إلا تحليل ودراسة للمؤسسات السياسية من حيث التشكيل والاختصاصات والوظائف. و يفترض أن سبب صمود هذا المدخل التحليلي إلى اليوم يعود إلى أن له أنصارا لا يزالون يعتبرون بأن الدولة هي وحدة التحليل السياسي، وأنها مؤسسة المؤسسات، ناهيك عن تضمنها لمجموعة من المؤسسات الحكومية الهامة التي تجري بداخلها كل التفاعلات السياسية الرسمية.

يضيف البعض بأن هذا الاقتراب يقوم على شرح وتفصيل **وصفي** للمؤسسة ثم إجراء مقارنة بين المؤسسات لإبراز أوجه التشابه والاختلاف والمفاضلة بينها، وذلك سواء داخل الدولة أو بين الدول.

منطلقات الاقتراب المؤسسي:

يقوم المدخل المؤسسي على مجموعة من الأسس والمنطلقات أهمها:

- تتوزع السلطة في النظم السياسية على مجموعة من المؤسسات، وتتراوح هذه المؤسسات بين القوة والضعف بشكل نسبي ومتغير عبر المكان والزمان، وأحيانا داخل الدولة الواحدة.
- تضم كل مؤسسة عددا من الأعضاء لكل منهم دور يؤديه في إطار التكامل الوظيفي، ولكل دور خصوصية واهمية بالنسبة لعمل المؤسسة ككل.
- تتعرض كل المؤسسات لعملية تغير وتحول مستمر بحسب التطور المجتمعي مع احتفاظها بالأدوار نفسها.
- تعتبر الحكومة أقوى مؤسسة في المجتمع الحديث، لأن تأثيرها يمتد إلى شتى مجالات الحياة، ويفوق كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

وبصدد تحليل المؤسسات السياسية يبرز بعدان لهذا الاقتراب، وبجمعهما يمكن ان يأخذ صورة الجسر بين المداخل القانونية والمداخل السلوكية. فإما أن تحلّل المؤسسات السياسية تحليلا قانونيا في ضوء القواعد التي وردت في الدساتير والتي تنظّم كيان تلك المؤسسات العضوي والوظيفي كما هو الحال في القانون الدستوري، أين ينصب الاهتمام على القواعد القانونية والوظائف الرسمية للمؤسسة كما يحددها الدستور (المؤسسات الرسمية). وإما أن تحلل تلك المؤسسات تحليلا علميا سلوكيا، بحيث يسلّط الضوء على الأدوار الفعلية التي تؤديها المؤسسات في الواقع من خلال نشاطاتها الفعلية وبنظرة سلوكية (الحكومة). وهنا يكون العمل التحليلي من اختصاص علماء السياسة والدراسات السياسية في مقابل الدراسات القانونية سالفة الذكر.[81]

وقد وضح العلماء زوايا النظر الأساسية للاقتراب من المؤسسة بالدراسة، كما يلي:[82]

- كيفية تكوين المؤسسة.
- الهدف من نشأة المؤسسة.

[81] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 222.
[82] محمد نصر عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 205.

- مراحل تطور المؤسسة أو نموها.
- الوسائل التي من خلالها تستطيع المؤسسة أن تحافظ على بقائها.
- الطريقة التي يتم بواسطتها تجنيد الأفراد في المؤسسة.
- البناء الداخلي والهيكلي للمؤسسة.
- علاقة المؤسسة بالمؤسسات الأخرى، وبالمجتمع ككل.
- المدى الزمني الذي تستطيع أن تمارس فيه المؤسسة عملها.
- وظائف المؤسسة وأهميتها.

كانت هذه أهم المقاربات الشهيرة التي تم توظيفها حتى وقت قريب في تحليل الشأن السياسي الحكومي الرسمي. لكن مع التحوّل في طبيعة موضوع علم السياسية، وانتقاله من الدولة إلى السلطة، ومن المؤسسات إلى السلوك والنشاط السياسي داخل الجماعات، حدثت قفزة نوعية على المستوى المفاهيمي والنظري، كحركة علمية مواكبة لذلك التحوّل، سعيا من العلماء إلى إيجاد أطر تحليلية أكثر استيعابا لتعقّد الظاهرة السياسية وتشابكها وتداخلها، وهو ما سوف يتم تناوله في المحاور التالية:

1/ المقاربات المنتمية للنظرية العامة للنظم:

تعتبر نظرية النظم أو الأنساق الفكرة الأم التي وُلدت من رحمها معظم مقاربات التحليل السياسي – خاصة المقارن - في المرحلة السلوكية التي راحت تركز في تحليلها وتصورها للواقع السياسي على الجانب السلوكي المتكوّن من الدوافع والأحاسيس والأفعال السياسية للأفراد والجماعات. ثم إن هذه النظرة السلوكية ما لبثت في تحليلها الجديد هذا مع فكرة " النسق/ النظام" من حيث هي مجرد أداة ذهنية تصورية لفهم الواقع السياسي بتصوّر معيّن قوامه مجموعة أفعال وردود أفعال سلوكية.

إضافة إلى ذلك، لا يجب ضمن هذه النظرية العامة للأنساق أو النظم أن ننبّه إلى أن للبيئة التي تتواجد فيها النظم السياسية دور هام في هذا الإطار، إذ أن دوافع الأفعال السلوكية وأحاسيس أصحابها تعمل في بيئة اجتماعية تتكون من أوضاع وانساق فرعية جغرافية واقتصادية وثقافية وغيرها. ولكل هذه الأخيرة أثرها البالغ في سلوك الأفراد والجماعات. وبالضبط في رسم السياسات العامة لمجتمعاتها، وحتى في صنع سياساتها الخارجية في تعاملها مع البيئة الخارجية فيما يعرف بالعلاقات الدولية.

إن النظرية العامة للأنساق أو النظم، لا تنفصل عن النظرة السلوكية التي تنطلق من مجموعة من المفاهيم الجاهزة التي تمت استعارتها من فروع علمية أخرى سبقت علم السياسة في ارتباطها بالتحليل العلمي. مثل مفاهيم القوة والبنية والوظيفة والاتزان والنظام، وغيرها.

ينتمي لهذه النظرية الأصل مجموعة الاقترابات الفرعية كما أشرنا أعلاه، ابتداء بنموذج ديفيد إيستون الذي يعد الصياغة السياسية الأولى لنظرية النظم، وامتدادا إلى الاقتراب الاتصالي الذي طوّره كارل دويتش، ثم إلى صياغة غابريال ألموند، للنظرية نفسها تحت مسمى البنائية الوظيفية،[83] انتهاء باقتراب اتخاذ القرار الذي لا ينفصل في مجمله عن جزئية المخرجات في إطار النظرية العامة للنظم. فصناعة القرار عملية ملازمة لجميع النظم، على الرغم من اختلاف توجهاتها ومستوياتها، حديثة أو تقليدية، ديمقراطية أو غير ديمقراطية، ومهما كانت الأيديولوجية والقيم الحضارية التي تنطوي عليها.[84] وهذا في اعتقادنا كاف لإدراجها ضمن المقاربات المنتمية للحركة السلوكية في علم السياسة و بالنظرية العامة للأنساق أو النظم.

[83] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 261.
[84] محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي (الجزائر: دار هومة للنشر، 2002)، ص. 156.

تحديد المفاهيم الأساسية للنظرية العامة للنظم/ الأنساق:

أ/ مفهوم النسق/ النظام System :

يمثل النسق أو النظام، أداة تحليل عامة مشتركة بين مختلف التخصصات كالعلوم الفيزيائية والبيولوجية والاجتماعية على حد سواء. بل وحتى في المعارف الفلسفية البحتة. ومن هنا، فمفهوم النظام أو النسق عام جدا. وضمن هذا الفهم الواسع له، عرّفه " بيرتالانفي" بأنه مجموعة عناصر مترابطة، أي مرتبطة فيما بينها بعلاقات، بحيث إذا تعدّلت إحداها فإن الأخرى تتعدّل أيضا، وبالتالي فإن المجموعة كلها تتحوّل".[85]

وهو كأداة يستعان به في تحليل مواضع وزوايا معينة في عالم الطبيعة وعالم الاجتماع. وترجع القدرة التكيفية لمفهوم النسق بالمعنى المتقدم، إلى كونه لا يعني أكثر من مجرد تصور ذهني لعناصر موضوع البحث، حيث يصورها كعناصر متفاعلة ومتساندة فيما بينها، بحيث يكمّل بعضها بعضا. وذلك على الرغم من كون تلك العناصر لا تبدو كذلك بالملاحظة أو المشاهدة، وإنما بالتحليل الذهني التصوري فقط. وما يمكن أن يلاحظ أو يشاهد فيها هو فقط كونها عبارة عن كتلة أو هيئة واحدة بحسب انتمائها الإبستيمولوجي. فالنسق بهذا المعنى هو أداة للتحليل، ثم أداة لاكتشاف طبيعة العلاقات الممكنة بين تلك المكونات، وأخيرا أداة لتفسير و فهم المتغيرات، بحيث إن التغير في أحد العناصر من شأنه أن يؤثر في غيره من عناصر مجموعته، وهو ما يؤدي إلى تغيّر الحالة التي عليها المجموعة ككل.

أ 1 / تمايز النظم/ الأنساق كأدوات للتحليل:

حسب التعريف المقدّم أعلاه، تتمايز النظم في علم الاجتماع أساسا، وذلك كما يلي:

تكون أحيانا ظواهر تفاعل Interaction وفي احيان أخرى ظواهر ترابط Interdependance. ففي الحالة الأولى تجد القوى الفاعلة أنفسها مباشرة في علاقة، يكون لكل منها فيهال دور محدّد جيدا، وإن أي تعديل في أحد العناصر يؤدي إلى تحويل مجموع النظام. أما في حالة الترابط، فإن العلاقات لا تكون

[85] جان ماري دانكان، علم السياسة، تر، محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997)، ص. 140.

مباشرة، ويكون تاثير كل عنصر على الآخرين، في آن معاً، غير إرادي ولا اهمية له في حد ذاته. لكن وبفعل تضافر الجهود، يعدّل عمل العديد من العناصر أو الأفراد مجموع النظام.

هناك تمييز آخر هو التمييز بين النظم المفتوحة والنظم المغلقة، فإذا سلّمنا بأن النظم الاجتماعية لا توجد في فراغ، وإنما في بيئة ما. فإن هذه البيئة وتأثيرها من عدمه على النظم والانساق الاجتماعية هو معيار التمييز بين هذه النظم، حيث تظهر وفقه مجموعة تتشكل من نوعين على الأقل:[86]

- **النظم المغلقة:** وهي التي لا يكون للبيئة أي تأثير على سيرها. ويفترض في هذه الحالة وجود حاجز عازل مع الخارج.
- **النظم المفتوحة:** وهي الحالة العكسية للأولى، أين يكون للبيئة بأبعادها المختلفة تأثيرا واضحا على عمل النظام. إن التبادلات مع البيئة له تأثير ذو وجهين:

- فإما أن يعمل على منع اختلال التوازن الداخلي للنظام، أو استعادته بشكل آلي في حالة حدوث الاضطراب. وهو هنا يشبه حالة النظم السيبرنيتيكية Cybernétique، أي النظم ذاتية الانتظام.
- وإما أن يحدث العكس- خاصة في نماذج النظم الاجتماعية – أين تُحدث العلاقات مع البيئة آثارا سلبية من جانبها على النظام، بحيث يؤدي إلى تعديل سيره وبنيته ووظائفه.

ب / مفهوم البنية/ البناء Structure :

لم يكن لمفهوم البنية في العلوم الاجتماعية وجودا يذكر قبل المرحلة السلوكية، فقد قدم هذا المفهوم من علم الأحياء، ليتم توظيفها كاداة ومفهوم تحليلي في العلوم الاجتماعية أولا، وفي علم السياسة تاليا. فهي كأداة استخدمت في حقلها الأصلي، لتصوير الحالة التي يتواجد عليها أجزاء كلّ معيّن. فالبنية هي مفردة مكونة لهيكل كلي، أو كما تشبّه أحيانا باللبنات، أي كأداة لنقل صورة ذهنية عن البناء الواحد المتميّز بالتراص والتعاضد.

في علم الاجتماع استخدم مفهوم البنية للمساعدة على تصور واقع الكيانات الاجتماعية، باعتبار أن كل كيان أو جهاز او هيكل تنظيمي معيّن يقوم على مجموعة من عوامل هي بمثابة تلك اللّبنات أو الأجزاء في الكائن الحي. ويساعدنا مفهوم البنية بهذا الشكل على تحليل واكتشاف صورة ثم

[86] جان ماري دانكان، في علم السياسة، مرجع سابق، ص. 141.

موقع كل جزء او عنصر من هذه الأجزاء والعناصر وحجمها وتراصها بغيرها من الأجزاء التي تتشارك معه الكيان الاجتماعي نفسه أو الاقتصادي، أو السياسي كما في حالتنا هذه.

إذا اتضحت دلالة مفهوم البنية بهذا الشكل المتقدّم، أمكن للطلبة والباحثين التعرّف على الفائدة التحليلية له كاداة في علم السياسة. إن علماء السياسة السلوكيين انطلقوا في تحليلهم للنشاط السياسي من مفهوم البنية ثم انتقلوا منه غلى مفهوم النسق او النظام بمعناه المذكور أعلاه.

يشرح محمد طه بدوي ذلك قائلا: .." بمعنى أنهم – أي علماء السياسة- ينظرون إلى الواقع السياسي كبناء، ثم يضعون الالبنات المكوّنة له في مواقعها من النظام او النسق السياسي من حيث هو أعم وأشمل. وبعدها يتم تصوير حالة الترابط والتساند بين البنى والأجزاء الفرعية المشكّلة للبنية الكلية للنظام، وهو ما يعرف بمفهوم التفاعل الذي تجري عليه علاقات تلك العوامل والأجزاء.[87]

ج / مفهوم الوظيفة Function :

يعترف العديد من الباحثين بأن المشتغلين بالنماذج التحليلية المنتمية لنظرية النظم، لا يزال يكتنفهم بعض الغموض بالنسبة للحدود الدلالية الفاصلة بين مفهومي البنية والوظيفة. فالكثير منهم لا يتحرّج من استعمال التحليل البنيوي في غير محلّه، إذ لا يريد به في العادة مجرّد استهداف الكشف عن مواقع وأحجام العناصر المكوّنة للكيان السياسي المستهدف بالبحث فقط، بل يتعداه إلى محاولة تفسير أدوار تلك العناصر ووظائفها في تحقيق تكامل الكيان الكلي.[88]

في مفهوم علم الأحياء الذي تأثر به علماء الاجتماع المحدثون تعني " الوظيفة" الدور الذي يؤديه كل عنصر من عناصر الكائن الحي للبنيان الذي هو جزء منه، مثل وظيفة الهضم ووظيفة التنفس، ووظيفة الأعصاب،وهكذا. ولذلك فإن نقل دلالة هذا المفهوم "الوظيفة Function" إلى العلوم الاجتماعية أدخل معان جديدة حيث تعني في التنظيم الاجتماعي بصفة عامة- ما يؤديه الفرد في جماعة أو تنظيم معيّن من مهام بحكم موقعه فيه.[89] وقد وضح ذلك جيدا " هربرت سبنسر" في كتابه علم الاجتماع الوصفي، الصادر عام 1973. حيث صرّح بأن علم الاجتماع يسعى إلى تفسير علاقة الوظائف بالكينونات التي تعمل فيها، وبالتالي يسعى أيضا إلى تصنيف المجتمعات على ضوء طبيعة هذه العلاقة.

[87] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص، ص. 329، 330.
[88] محمد طه بدوي، المرجع نفسه، ص.. 330.
[89] محمد طه بدوي، مرجع سابق، ص.

ومن ذلك يمكن الاستنتاج أنه لا يمكن بحث الوظائف وتحليلها باستقلالية عن الكيانات والبنى التي تعمل فيها أو العكس. وان أي بنية أو جزء من أي كيان عضوي حي أو اجتماعي لا يصح تفسيره إلا من خلال الوظائف التي يؤديها. ولا عجب إذن أن نجد هذا الربط في مقولات الاقتراب البنائي الوظيفي.

1/ الاقتراب النسقي:

يسمّى هذا الاقتراب نسقيا نسبة إلى مفهوم النسق، أو النظام system، وقد استرشد علماء السياسة المتأثرين بموجة السلوكية بمفهوم النسق في إطار محاولاتهم لبناء نظريات ومقاربات تفسيرية للنظام السياسي، حيث يتصورون واقع ذلك النظام على أنه مجموعة من القوى متساندة متفاعلة على وضع يهيء لسيره وعمله عملا متّزنا.[90]

يقيم أصحاب هذا الاقتراب بناءهم النظري هذا على مفهومين أساسيين يتصورون من خلالهما واقع النظم السياسية وخصائصها الجوهرية، ألا وهما مفهوم النسق System ومفهوم الاتزان equilibrium

كما ويقيم أصحاب هذا الاقتراب على مجموعة فروض علمية:

أولها، أن صلب الحياة السياسية " النظام السياسي" هو القوة.

وثانيها، أن النظام السياسي المذكور هو مجموعة من علاقات قوى متساندة متفاعلة على بحيث يتحقق معها اتّزان وانسجام عمل ذلك النظام.

و بجمع الإثنين معا، يتم تصوير النظام السياسي كجهاز ميكانيكي، بحيث تتضمن فكرة الاتزان بداخلها فكرة النسق.

نموذج ديفيد إستون في علم السياسة:

بالنسبة لدافيد إيستون يمكن تعريف النظام السياسي على أنه مجموع التفاعلات التي يتم من خلالها توزيع الأشياء ذات القيمة بواسطة السلطة في المجتمع.[91] ومن أجل تجسيد مضمون وخصائص مفهوم النظام السياسي واقعيا، والذي يتسم في حالته النظرية هذه بدرجة عالية من التجريد، يمكن

[90] محمد طه بدوي، النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 335.

[91] David Easton, Analyse du système politique (Paris : Armond Colin, 1974), p. 23.

الاستفادة من" أميتاي إيتزيوني" الذي يدرج في النظام السياسي، مجموعة العناصر المتكونة من السلطات العامة والقواعد التي تحكمها، والأحزاب السياسية وجماعات المصالح التي تتدخل في المشهد السياسي، بالإضافة إلى مجمل مسارات وعمليات التعبئة والمشاركة والتمثيل الذي من خلالها يتم بناء العلاقة بين الأشخاص العاديين والسياسيين، أي بين الحكام والمحكومين.[92]

بناء على ما سبق ذكره حول مفهوم النظام وأنواعه، انطلق " إيستون" في تحليله من اعتبار النظام السياسي نظاما مفتوحا. بمعنى أنه يوجد وسط بيئة ويعيش في تفاعل دائم واتحاد وثيق معها. بل إن ميزة تحليل إيستون تكمن في أنه يتجاهل النظام في حد ذاته – العلبة السوداء – ويركّز بدلا منه على على العلاقات التي يقيمها النظام مع بيئته. فهو يرفض الولوج إلى داخل العلبة السوداء. إن هدفه من ذلك هو الاهتمام بتفسير العلاقات بين العلبة السوداء ومجموع المجتمع (البيئة بأبعادها ومستوياتها المختلفة).

يبدو هنا بوضوح وجه استلهام دافيد إيستون من السوسيولوجي " تالكوت بارسونز" هذا الأخير الذي جعل النظام كائنا يعيش في بيئة ثلاثية الأبعاد عنده، وتظهر كما يلي: النظام الفردي– النظام الاجتماعي– النظام الثقافي. وفي خلاصة بحثه حول كيفية بقاء النظم وتعزيز دورها يشترط بارسونز ضرورة قدرة النظام على التكيف مع البيئة ومع التغيرات التي تجرى فيها.[93]

النسق كمفهوم مركب يدمج البنية والوظيفة عند دافيد إيستون:

ينبّهنا الدكتور محمد طه بدوي، بأن اقتراب الأستاذ الامريكي " ديفيد إيستون" في تحليله للحياة السياسية، بأن هذا الأخير لم يميّز تمييزا واضحا بين مفهومي " البنية " والوظيفة. وكما هو معلوم فإن إيستون لم يعتمد اعتمادا نهائيا على مفهوم البنية لوحده، مثلما لم يعتمد على مفهوم الوظيفة منفردا. وهو الأمر الذي فهم منه بأنه يتبع تحليلا بنيويا وظيفيا في إطار مفهوم النسق.[94]

وبما أن النظام عنده هو مجموع العلاقات، فإنه يهتم بتفسير العلاقات بين العلبة السوداء ومجموع المجتمع. وللقيام بذلك يبني مخططا للتفاعلات بطريقة خاصة، وانطلاقا من ذلك يمكن للبحث أن ينطلق من سؤال كبير مفاده: **ما هي الخطوط الكبرى لتحليله؟**

---

[92] Philippe Braud, Sociologie politique (Alger : Casbah editions, 2004), p. 171.

[93] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية. مرجع سابق، ص. 105.

[94] محمد طه بدوي، في النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 353.

سنحاول الإجابة بشكل سريع ومختصر، ثم نتوسع في كل الجزئيات لاحقا.

إن تحليل دافيد إيستون للنظام السياسي يقوم أولا على التمييز بين العلبة السوداء والبيئة، وفي تمييزه ذلك يفترض بأن كلاهما يرتبط بالآخر عبر علاقة تبادلية. فالعلبة السوداء تتلقى إشارات وتعليمات من البيئة، وهذه العملية يسميها المدخلات Imputs . وبدورها العلبة السوداء تصدر أو ترد أجوبة في شكل ما يسميه المخرجات Outputs. هذه المخرجات ستؤدي بدورها إلى إحداث مدخلات جديدة من خلال آلية التأثير العكسي أو التغذية الرجعية Feedback . أما البيئة، والتي تتميز بمظهرين داخلي وخارجي، فهي المحيط الذي يعيش ضمنه النظام بالمعنى الضيق ويتفاعل معه.

فالمخطط أو النموذج الذي تصوره إيستون ليس وصفيا فقط، بل إنه يفسّر كيف أن النظام يمكن أن يبقى متوازنا بالرغم من الضغوط التي تمارس عليه، والتي ينبغي ظاهريا أن تتسبب في انهياره.[95]

إذا أردنا فهما كافيا للتحليل النظمي لدافيد إيستون علينا أن نقوم بعملية تحليل مفهومي لكل المكونات التي جعل منها تشكل نسقا أو نظاما متكاملا متوازنا، وهي كالآتي:

البيئة:

إن مفهوم البيئة يوحي ابتداء بأن هناك حدودا فاصلة بين النظام والمحيط الذي يعيش فيه، ولو أن هذه الحدود لا وجود لها واقعيا، وإنما يتم تصورها للضرورة التحليلية فقط. حتى أن " جان ماري دانكان" يرفض أصلا أن يتم رسم مخطط أو نموذج توضيحي لفهم تشغيلية النظام السياسي ختى لا يعتقد البعض بأنه تجسيدا لفكرة النظام التي لا يمكن لان تتجسد بذلك الشكل لطبيعتها التجريدية.

تتضمن بيئة النظام السياسي بعدين أساسيين، بعد داخلي والآخر خارجي. فالبيئة الداخلية هي تلك التي تقع خارج حدود النظام السياسي، لكنها داخل المجتمع نفسه. وقد تكون إيكولوجية بمعنى مادية وغير بشرية، أو تكون بيولوجية، أي تتعلق بأفراد المجتمع في تكوينهم العضوي، وتتعلق أيضا بالشخصية والتكوين السيكولوجي للأفراد، وبالبناء الاجتماعي والثقافي، وكذا بالنظم الاقتصادية والديموغرافية.

[95] جان ماري دانكان، في علم السياسة، مرجع سابق، ص، ص. 142، 143.

أما البيئة الخارجية فتشير إلى الحيز الذي يقع خارج المجتمع – وخارج النظام من باب أولى- والذي يعد النظام السياسي نظاما فرعيا به. وتضم – وفق ما أورده إيستون- نظم إيكولوجية دولية، ونظم اجتماعية دولية، ونظم سياسية دولية وغيرها. وهذه البيئة قد تكون لها نتائج وتأثيرات هامة على بقاء النظام السياسي واستمراريته، أو تغييره وتبديله، وذلك بحسب طبيعة المطالب الصادرة عنها مطالبا كانت أو تأييدا.[96]

المدخلات:

يشير مفهوم المدخلات في النموذج الذي انشاه " إيستون" إلى كل ما يتلقاه النظام السياسي من بيئته بكل أبعادها، وتنقسم المدخلات إلى فئتين:

فئة عبارة عن طلبات موجهة للنظام: فالمطالب تساهم في إحداث الخلل في النظام. ويشترط فيها تحليليا لكي تكون مطالب أن تصاغ في شكل مطالب حقيقية. لذلك يقول " جان ماري دانكان" إن عدم الرضا المنتشر في الجسم الاجتماعي مثلا ليس من الطلبات، ما لم يصاغ في شكل صريح منظّم من جهات ما يكمن دورها في إدخال المطالب إلى النظام، مثل الأعيان وممثلوا الشعب والأحزاب والجماعات الضاغطة. بحيث يتلقاها جهاز الاستشعار في النظام، ويؤوّلها إلى مطالب.

وبرأي إيستون فإنه حتى السلطات السياسية تبادر أحيانا لصياغة طلبات وتلبيتها بهدف زيادة شعبيتها.[97] وتتفاوت طبيعة المطالب التي تشكل في أغلبها ضغطا على النظام، ما بين طلبات منظمة وهادئة وتسير بمرونة عالية، إلى غاية – في أحيان قليلة- تطوير اساليب أخرى لصياغتها كالمظاهرات العفوية، والعنف والتصرفات غير المسؤولة ذات الطابع الفوضوي. وهذه الفئة لها تأثير خطير على توازن النظام برمته.

وفئة ثانية تشكّل دعامات أو مساندة تحمّل إلي النظام: والدعامات هي القوى التي تعطي دعمها للنظام وتسمح له عن طريق ذلك بالبقاء بالرغم من دفعات المطالب المتتالية. وتكتسي المساندة أشكالا مختلفة، كمظاهرات الولاء وإرادة العمل ضد الأفراد والجماعات التي تعارض وتتهم النظام. ومنها أيضا الإيمان بشرعية الأسرة الحاكمة أو النظام القائم. ويضيف " دانكان" عنصر القدرة على القبول بتدابير

[96] عبد الغفار رشاد القصبي، مناهج البحث في علم السياسة، مرجع سابق، ص. 158.
[97] جان ماري دانكان، علم السياسة، مرجع سابق، ص.، ص. 144، 145.

غير شعبية لكنها تبدو ضرورية لخلاص المجتمع. ومن الأشكال أيضا سلبية بعض المواطنين إزاء النداءات التي تدعو للتمرد والفوضى.

المخرجات:

المخرجات هي الهدف الأول للنظام، فهي التي تسمح له بالبقاء من خلال إشباع المطالب، وإثارة المساندة. لم يعتمد " إيستون" في نموذجه أي إطار تصنيفي لمفهوم المخرجات، إذ جعلها ذات بعد واحد عكس المدخلات. حيث اعتبرها مجموعة القرارات التي يتخذها النظام تبعا للمطالب والمساندة التي يتلقاها. وبما أن دافيد إيستون اختار طواعية عدم الولوج إلى العلبة السوداء، فإنه من الطبيعي ألا يتوسّع في تحديد طبيعة المخرجات، لأن هذه الأخيرة هي ما تفرزه عملية التحويل داخل العلبة السوداء. فقد اكتفى بالعموميات في قوله إنها مجموعة القرارات الصادرة عن النظام السياسي.[98] وذلك على عكس الاقتراب الوظيفي الذي أفرد لها مساحة واسعة من التحليل والأمثلة كما سنرى لاحقا مع مساهمة جابريال ألموند.

التغذية العكسية:

على عكس المخرجات يركّز " إيستون" على آليات التأثير العكسي التي تعطي للدائرة السيبرنيتيكية طابعها المتصل والمتساند. إذ المخرجات في التحليل النسقي لدافيد إيستون ستؤدي بدورها إلى إحداث مدخلات جديد عبر ما يسميه بالتغذية الاسترجاعية أو العكسية. فالأجوبة المختارة على سؤال المطالب لا تعتبر المرحلة النهائية، ذلك أن القرارات ستولد طلبات ودعامات جديدة كما أشرنا. فالمجموعات التي حصلت على مزايا ستتصرف باعتبارها من تيار المساندة، وستدافع عن النظام والسلطات. وأما المجموعات غير الراضية فستجدد طلباتها بإلحاح متزايد.

كخلاصة يمكن القول بأن تحليل إيستون النسقي، أثار أفكارا مفيدة تجاوز بها المقترب المؤسسي للتنظيمات السياسية. كما اعطى لعلم السياسة مصطلحات ومفاهيم نقلتنا من عالم التجريد إلى عالم المشاهدة والملموس. فكانت نتائجه مثمرة جدا رغم أن التهمة الأكثر شهرة لنموذجه هي النزعة المحافظة. واستبعاده دراسة النظام السياسي بمعناه الضيق. فليس من غير المفيد معرفة العلبة السوداء ومن يسكن بداخلها، وماذا يجري فيها، وكيف تعالج فيها المطالب. إن معرفة الإجابة عن هذه الأسئلة كان سيفيد ويؤثر في المخرجات التي تنتج عنها لتستجيب بها للمطالب.

[98] المرجع نفسه، ص. 148.

الاقتراب البنائي الوظيفي:

إن الدراسات الحديثة التي استخدمت التحليل البنائي الوظيفي في العلوم السياسية، مدينة بالفضل لدراسات بعض علماء الأنتروبولوجيا مثل " مالينوفسكي 1884-1942 " ورادكليف براون 1881-1955" ثم دراسات السوسيولوجي " روبرت ميرتون لاحقا. فبعد علماء علم الاجتماع والأنتروبولوجيا، نهج علماء علم السياسة نهجهم خاصة مع تزايد الاهتمام بالدراسات التحليلية في السياسة المقارنة والبعد التنموي. فبدأ الاقتراب البنائي الوظيفي يتخذ مكانة بارزة في مجال البحث السياسي. فالنواة الأولى لظهور هذا الاقتراب وتوظيفه في علم السياسة جاءت كثمرة لمحاولات علماء هذا التخصص بناء جسور مع التخصصات الأخرى والاستفادة من مقارباتهم بعد تكييفها مع موضوعات علم السياسة.[99]

بالنسبة لموضوعات علم السياسة التي تنقاد بسهولة واضحة لمقولات البنائية الوظيفية يتصدّرها موضوع النظام أو النسق السياسي، حيث ينظر إليه على أنه مركّب معقد لأنشطة ترتبط فيما بينها بعلاقات معيّنة، بحيث أن هذه العلاقات والروابط التي يعبّر عنها بتفاعلات النسق السياسي، تشكل آلية جوهرية للبقاء المستمر للنظام ككل.

وبتعبير أدق فإن فكرة هذا الاقتراب تقول بأن النسق هو نموذج تصوري يجرّد الحقيقة الإمبريقية، ويعتبر في الوقت ذاته أداة لتحليل وترتيب المعلومات. وهذه هي وظيفة النماذج النظرية في كل الفروع العلمية.

فهذا " تشارلز ماكليلاند" الذي يعد من أبرز كتّاب نظرية النظم عموما، في ربطه بين النظام والبناء يقدّم تعريفا بسيطا للنظام مفاده أنه **بنية** لها عناصر مرتبطة ومتفاعلة مع بعضها البعض، ولها حدود محددة تفصلها عن بيئتها أو محيطها. ثم يعقّب الدكتور ناصيف يوسف حتي على ذلك بالقول: " إن النظام هو أداة تحليلية تقدّم منظورا معيّنا لدراسة السلوكية البشرية – الوظائف البشرية- على كافة المستويات.[100]

فالنظام حسب هذا الاقتراب ليس مجموعة بنى ومؤسسات تتفاعل فيما بينها، لكن الجديد في اقتراب غابريال ألموند، هو كونه عبارة عن نموذج نظري يعكس مجموعة من الخصائص المنطقية التي

[99] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 111.
[100] يوسف ناصيف حتي، النظرية في العلاقات الدولية. (دار الكتاب العربي، دت)، ص. 46.

توفر للنظام سمته المميزة، فمن جهة فإن أجزائه يجب أن تعكس الوحدة والانسجام ككل، ومن جهة أخرى فإن أجزاءه يجب أن ترتبط بعلاقات اعتماد متبادل فيما بينها. بمعنى أن ما يحدث في أحد أجزاء النظام يكون له تأثير مناظر في الأجزاء الأخرى للنظام.

منطلقات التحليل الوظيفي البنائي:

- التحليل الوظيفي البنائي يعتمد على فئتين من المفاهيم الأخرى إلى جانب مفهوم النظام، وهما البنية والوظيفة. فلكي يستمر النظام ككائن حي، فإن وظائف ضرورية معينة يجب إنجازها، لكن مسألة ما إذا كانت هذه الوظائف يتم إنجازها بواسطة بنية واحدة أو أبنية عديدة هي مسألة يحددها البحث الإمبريقي وطبيعة الحالة محل البحث.
- استخدم الوظيفيون مفهوم البناء ليشير إلى مجموعة من العلاقات بين الوحدات الاجتماعية بحيث تتسم هذه العلاقات بالاستقرار النسبي وانها تتخذ شكل النمط. أما فكرة الوظيفة عندهم فتشير إلى ما يترتب على نشاط اجتماعي من نتائج تؤدي إلى تكيّف أو تلاؤم هذا النشاط مع بناء معين أو مع جزء منه.
- وجود أداء وظيفي واحد في بنى مختلفة ة ومتعددة، وقد شرح " سبيرو" ذلك في النقاط التالية:
  - صياغة القضايا والمسائل الناجمة عن وجود مشكلات معينة.
  - دراسة هذه القضايا دراسة متروية.
  - حل هذه القضايا.
  - حل المشكلة التي أفرزت هذه القضايا.

يعلّق " دورتي وبالستغراف" على ذلك بالقول إن جميع النظم السياسية تؤدي هذه الوظائف إلا أنها تختلف في تأديتها طبقا للنموذج السياسي لهذه الدولة أو تلك.

ومن خلال ذلك يصرّح " سبيرو" بأن المشكلات هي المدخلات في النظام السياسي، أما المخرجات فهي حلول هذه المشكلات. ثم يربط بين نجاح النظام السياسي وطبيعة القوى الفاعلة في داخله، وهنا يقسّم هذه الطبيعة التي تميز القوى الفاعلة إلى أربعة أصناف، هي الشرعية والبراغماتية والإيديولوجية، وأخيرا العنف.[101]

[101] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، مرجع سابق، ص، ص. 110، 111.

- جمع الاقتراب البنائي الوظيفي مفهومي " البناء والوظيفة" في إطار تصوري ونسق منهجي تحليلي واحد يتناول بناء المجتمع في ضوء الوظائف التي يقوم بها هذا البناء لإشباع حاجات المجتمع والحفاظ على نفسه من التفكك والانهيار.
- أغلب دراسات التحليل الوظيفي تسعى للتعرف على إنجاز وتأدية وظائف محددة في نطاق النظام السياسي الشبيه بالكائن العضوي. وبالتالي فهذا الاقتراب يفترض وجود نموذج سلوكي يجعل النظام يؤدي وظيفته بشكل ملائم. وأنه يوجد أداء وظيفي واحد في بنى مختلفة ومتعددة، ولذلك تم المزج فيه بين مفهومي البناء والوظيفة داخل مفهوم النسق أو النظام.

النموذج الوظيفي لجابريال ألموند:

جاءت مساهمة " ألموند" مندرجة داخل الأطر التحليلية الكبرى لنظرية النظم كما سبق وذكرنا. فمن الممكن وصف وتحديد المتطلبات الوظيفية التي على النظام السياسي أن يؤديها، لأن هذه الوظائف مرتبطة بالأهداف الجوهرية للنظم السياسية قاطبة، وهي الحفاظ على التوازن والقدرة على التفاعل والتكيف مع المتغيرات التي تجري في البيئة الاجتماعية.

أما الأهداف العلمية والمنهجية لمساهمة " ألموند" فتتمحور حول إيجاد نموذج تصنيفي لدراسة الظواهر السياسية، وتجنيب الباحث الوقوع في شرك ربط وظائف معينة بأبنية معينة، وبالتالي المساعدة على إجراء البحوث والتحليلات المقارنة بدل دراسة الحالات المنفردة، وهذا من الأهداف الكبرى للمقاربات السلوكية إجمالا.

يعد كتاب " ألموند وكولمان" الذي يحمل عنوان **السياسة في البلدان النامية** الصادر عام 1960، والذي طورا فيه ما جاء في كتاب ألموند الأول " **النظم السياسية المقارنة**" لعام 1956. يعد نقطة انطلاق للتحليل البنائي الوظيفي في علم السياسة، حيث كانت أهم مساهمة لهما هي التركيز المفاهيم باعتبارها لغة التواصل بين المتخصصين، كما أنها تمثل الرموز التي حملت أفكار، لذلك نجدهما يبتكران مفهوم الأبنية بدلا من المؤسسات، والوظائف محل السلطات والقوة، والنظام بدل الدولة، والأدوار محل المناصب. بحيث تتناسق الأدوار وتتكامل فتشكّل البنى والهياكل.[102]

[102] محمد شلبي، مرجع سابق، ص. 174.

مفاهيم الصياغة الأولى:

ركز ألموند وزميله في الكتاب الأخير سالف الذكر على وظائف النظام السياسي والتي قسّماها إلى مجموعتين:

- **وظائف المدخلات:** وتشمل التنشئة السياسية، والتجنيد السياسي، والاتصال السياسي، والتعبير عن المصالح، وتجميع المصالح.
- **وظائف المخرجات:** وتشمل صنع القاعدة، وتنفيذ القاعدة، والتقاضي بموجب القاعدة.

مفاهيم الصياغة الثانية:

بعد النقد الذي وجّه إلى الكتاب الذي أفرز وظائف الصياغة الأولى، قام **ألموند** بتطوير مساهمته الوظيفية عبر تأليف كتاب آخر مع زميله " باول" تحت عنوان " السياسة المقارنة" عام 1966، وفيه نظر إلى وظائف النظم السياسية عبر مستويات ثلاثة هي:

- **المستوى الأول/ قدرات النظام السياسي:**

وقد حدد ألموند في هذه الصياغة خمسة قدرات للنظام السياسي هي: القدرة الاستخراجية، ولاقدرة التنظيمية، والقدرة التوزيعية، والقدرة الرمزية، وأخيرا القدرة الاستجابية.

- **المستوى الثاني/ وظائف التحويل:**

وقد عدّدها الثنائي "ألموند وباول" ستة وظائف بعدما قاما بتفكيك وإعادة تركيب وظائف المدخلات ووظائف المخرجات في صياغة ألموند الأولى مع زميله كولمان، لذلك ظهرت كما يلي: وظيفة التعبير عن المصالح، ووظيفة تجيع المصالح، ووظيفة صنع القاعدة، ووظيفة تنفيذ القاعدة، ووظيفة التقاضي بموجب القاعدة، وأخيرا وظيفة الاتصال السياسي.

- **المستوى الثالث/ وظائف الاستمرار والتكيّف:**

لقد بدا لهما بعد عملية التحليل الجديدة أن النظام السياسي لكي يستمر ويتكيف مع بيئته لا بد أن يؤدي وظيفتين على الأقل، هما: وظيفة التنشئة السياسية، ووظيفة التجنيد السياسي.

مفاهيم الصياغة الثالثة:

قام الثنائي " ألموند وباول" بتطوير نموذجهما الوظيفي للمرة الثالثة والأخيرة، وفيه استمر ألموند في استخدام المفاهيم نفسها والوحدات السياسية للمساهمات السابقة نفسها كذلك. ولكنه من جهة أخرى أعاد تشكيل العلاقات بين تلك المفاهيم والوحدات من خلال عملية تحليل وتركيب.

وحسب الصياغة الأخيرة هذه لا تزال مفاهيم مثل النظام والبيئة والمدخلات، والثقافة والوظيفة، هي المفاهيم الأساسية للتحليل. ولكن ذلك لم يكن دون تسجيل بعض الإضافات أهمها:

- **في مفهوم البيئة:** قام بتفصيل خصائص بيئة النظام وتقسيمها إلى نوعين:

- بيئة داخلية تشمل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد افترض بأن هناك عاملين اثنين مؤثرين على تشكيل النظام السياسي ونظمه الفرعية، هما **الأصل العرقي واللغة**.
- أما اللبيئة الخارجية، فقد اعتبر بشأنها أن لكل دولة أو مجموعة من الدول قضايا أساسية تحدّد وتشكّل بيئتها الخارجية. وهنا أعطى أمثلة توضيحية لذلك. فالدول المتقدمة تتحدد بيئتها الخارجية بقضايا التضخم والبطالة وتلوث البيئة والسباق نحو التسلح وغيرها. بينما تتحدد بيئة إقليم الشرق الأوسط الخارجية مثلا، بقضايا الصراع العربي الإسرائيلي.

- **بالنسبة المدخلات:** تم التركيز فيها ضمن هذه الصياغة على قضايا أساسية، مثل عدد المدخلات ومحتواها وكثافة تدفقها والكيفية التي تتم بها، وتصل عن طريقها إلى النظام. وقد شهد هذا الاقتراب تعديلا مهما بالنسبة للمدخلات كما يلي:

- **أ/ المطالب:** وقسمها إلى مطالب:
- توزيع السلع والخدمات،
- ومطالب تنظيم السلوك العام وحفظ الأمن والنظام والصحة والأسواق.
- ومطالب متعلقة بمصادر الاستخراج مثل زيادة أو تخفيض الضرائب.
- ومطالب تتعلق بالاتصال والمعلومات.
- ومطالب تتعلق بالمشاركة في صنع القرار السياسي وتوزيع القوة والهيبة.
- ومطالب تتعلق بتعظيم استقرار النظام وتقليل العنف.
- ب/ **المساندة:** وتنقسم إلى:
- دعائم ذات مصادر سياسية فكرية أو حزبية.

- ودعائم ذات مصادر شخصية تتعلق بعلاقات الأشخاص.

يعلق " محمد نصر عارف" على هذه الصياغة الجديدة التي تشكل المدخلات، موضحا بأن "ألموند" "قد وسّع من مصادرها متجاوزا "البيئة" باعتبارها منطلقها الوحيد في الصياغات السابقة وحتى في صياغة دافيد إيستون. حيث أضاف بأنها قد تنبع أيضا من داخل النخبة الحاكمة سواء كانوا حكاما أو منفذين أو من السلطة التشريعية أو القضائية. من أجل ذلك افترض " جان ماري دانكان" من خلال مشاهداته الواقعية بأن الجماعات الضاغطة مثلا، يمكن تصنيفها إلى جماعات غير رسمية، وهي جماعات المصالح المستقلة عن النظام السياسي، وجماعات ضاغطة حكومية أو رسمية، يمكن ان تتشكل من داخل الجهاز البيروقراطي. ومن الطبيعي أن تكون هذه الجماعات الرسمية من بين الجهات التي تصدر عنها المدخلات، بشقّيها الممثلة في المطالب والمساندة. ليتّفق بذلك مع الصياغة المفهومية النهائية لمقترب "غابريال ألموند". وهو الشيء نفسه مع " كارل دويتش" الذي تفادى بعض أوجه القصور في مقاربة إيستون مثلا، وذلك حين طرح مفهوم " ذاكرة النظام" الذي يدخل به إلى الصندوق الأسود وجعل منه عنصرا فاعلا وليس مجرد أداة محايدة، حيث أعطاه "دويتش" إمكانية أن يوجِد مدخلات، وأن يعدّل ويكيّف المدخلات الواردة إليه من البيئة.[103]

- **بالنسبة للمخرجات:** في الصيغة الأخيرة من مساهمته ضمن الاقتراب البنائي الوظيفي، اهتم ألموند بمفهوم المخرجات، حيث ألبسه صفات وخصائص مفهوم قدرات النظام السياسي التي وضّحها في الصياغة الثانية سالفة الذكر.

وتتضمن المخرجات أربعة أنواع من التفاعل صادرة عن النظام السياسي، وهي عبارة عن رد فعل عن ما يرد إليه من مدخلات، فإما أن يستجيب النظام أو لا يستجيب لتلك المطالب. وكل ذلك أعطاه الأبعاد التالية:

- **القدرة الاستخراجية**: وتشير إلى قدرة النظام على جلب الموارد المادية والبشرية من البيئتين والجهات الأكثر إسهاما.
- **القدرة التنظيمية**: وتشير إلى ممارسة النظام لعملية الرقابة على سلوك الأفراد والجماعات التي تشملها سيطرة النظام داخل المجتمع. ومثال ذلك استخدام القوة الشرعية لضبط

[103] محمد نصر عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 267.

السلوك المجتمعي. ويدخل ضمن هذه القدرة أيضا، كل الممارسات الهادفة لحماية الحقوق في إطار القانون والأعراف، وتنظيم العقود والصفقات وغيرها.

- **القدرة التوزيعية:** وتشمل توزيع السلع والخدمات، والمراتب، والفرص من مختلف الأنواع التي يسديها النظام السياسي للأفراد والجماعات في المجتمع.وهي باختصار القدرة على توزيع المنافع العامة والخاصة في المجتمع.
- **القدرة الرمزية:** والرموز هي كل ما يحمل دلالة وينطوي على معنى ذو قيمة، إذ أن الكثير من الأمور التي يقوم بها النظام لها رمزية خاصة يستعين بها على التكيف والاستمرار وجلب تأييد المواطنين.[104] وعبرها يتم إرسال الرسائل إلى الخصوم في البيئة الداخلية والخارجية. ويدخل ضمن هذه القدرات التأكيدات على القيم التي تقوم بها التخب، واستعراض الأعلام، والأناشيد الوطنية والثورية، واستعراض فرق الجنود والقوات المنتمية للجيوش.

- **بالنسبة لمستوى الوظائف:** أعاد ألموند تصنيفها إلى عدة مستويات فرعية:

- **أ/ مستوى النظام:** وتتضمن:
- وظائف المحافظة على النظام وتحقيق التكيّف. وذلك إما عبر الإصلاح أو التعديل والإحلال، أو خلق وظائف جديدة تتماشى مع الوضع وإلغاء قديمة، كاستبدال منصب رئيس الحكومة والوزير الأول وتوسيع صلاحياته، وإنشاء وزارات جديدة أو دمج أخرى مع بعضها أو تقسيم أخرى إلى وزارتين، وكذا استحداث منصب وسيط الجمهورية أو المكلف بالمجتمع المدني وغيرها.
- وظائف التنشئة السياسية، عبر التحكم في اتجاهات الثقافة السياسية، والتكييف السياسي والتجنيد والتعليم على أداء الأدوار المنوطة بالمستهدفين عبر المؤسسات الخاصة بالتنشئة. وتتوقف هذه الوظيفة على القدرات الاتصالية ومستوى الكفاءة وطريقة التواصل التي يتمتع بها النظام.
- **ب/ مستوى العملية:** يقصد بالعملية ضمن هذا المستوى إجراءات التحويل داخل النظام السياسي، وهي ما يجري داخل العلبة السوداء بمصطلحات إيستون. أي تحويل المدخلات إلى مخرجات. وقد صاغها ألموند في شكل أربع وظائف كما يلي:
- التعبير عن المصالح.

[104] طه حميد حسن العنبكي و نرجس حسين زاير العقابي، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2015) ص. 70.

- تجميع المصالح.
- صنع السياسة.
- تنفيذ السياسة.
- **ج/ مستوى السياسة:** ويركز في هذا المستوى كثيرا على الأداء السياسي البسيط، وسلوك النظام ككل في علاقته مع النظم الاجتماعية الأخرى ومع البيئة المحيطة بكل أبعادها.

يذكر " نصر عارف" بأن هذا المستوى يشمل عملية تطبيق السياسة، واستخاج الموارد وتوزيعها، وتنظيم السلوك، وصنع الرموز والمعلومات، التي ستعود في شكل تغذية استرجاعية.

كخلاصة يمكن القول أن المقاربة البنائية الوظيفية التي طورها ألموند ومن ساهم معه من الزملاء، تعتبر مدخلا هاما لتحليل الظاهرة السياسية والنظام السياسي. وجاءت مرتكزة على الجوانب الثلاثة التالي:

- العوامل المؤثرة على النظام السياسي.
- وظائف النظام السياسي وطرق تأديتها.
- العوامل المؤدية لتماسك وبقاء النظام السياسي.

ويجدر بنا التنويه إلى فكرة خلاصة الدكتور محمد جمال الدين العلوي حول فكرة المقترب البنائي الوظيفي في كتابه " مناهج البحث العلمي في علم السياسة"، الذي جاء فيها بأن التحليل البنيوي الوظيفي يتميز باختيار واقعة معينة ليقوم بوصفها وتفسيرها والتوقع حول صيرورتها المستقبلية عبر البنى والآليات والوظائف والمتطلبات الوظيفية والأدوار والنظم الاجتماعية والنظم الثقافية وذلك للكشف عن طبيعة ما يبدو، أو ما هو حاصل فعلا من تناقض بين الفرضيات و الواقع.[105]

[105] محمد جمال الدين العلوي، منهج البحث العلمي في علم السياسة (الموصل: الشاملة للطباعة والاستنساخ، 2012)، ص، ص. 15، 16.

الاقتراب الاتصالي:

ينسب الاقتراب الاتصالي إلى عالم السياسة الأمريكي " كارل دويتش". ويتفق العديد من الباحثين، على أن هذا الاقتراب يعتبر جزءا من النظرية العامة للنظم، ذلك أن كارل دويتش قد عبّر عن كل مضمون مقاربة النظم لدافيد إيستون، من: مدخلات، وتحويل، ومخرجات، وتغذية استرجاعية. ذلك رغم استخدامه لمفاهيم ومصطلحات مغايرة في المبنى لتلك التي استخدمها " إيستون".[106]

لقد أصبح الاقتراب الاتصالي واحدا من الاقترابات النموذجية التي يعتمد على مفرداتها في تعريف النظام/ النسق. فهذان الأستاذان **"جيمس دورتي وروبرت بالستغراف"** يقدّمان تعريفا للنظام بعد تقريرهما بأنه إطار نظري لتدوين المعلومات المتعلقة بظاهرة سياسية. حيث يؤكّدان بأن كل نظام – إلى حد ما- هو شبكة من الاتصالات التي تسمح بتدفق المعلومات التي تؤدي إلى حدوث عملية التكيف الذاتي.[107] ويلاحظ أن كل مفردات هذا التعريف مستمدة من النموذج الاتصالي لصاحبه " كارل دويتش".

إن النظام بالنسبة لكارل دويتش هو التفاعلات والاتصالات، بحيث يركّز على **المدى** الذي يتوفر فيه للنظم السياسية كل التسهيلات الملائمة والكافية لجمع **المعلومات** الداخلية والخارجية، إلى جانب نقل هذه المعلومات إلى مراكز صنع القرار. بمعنى أنه يؤكد على مدى حرية تدفق المعلومات والاتصالات داخل بيئة النظام بما يخدم صناعة القرار، وبالتالي يزيد من قدرتها على الاستجابة للمطالب المقدمة إلى النظام على شكل مخرجات ناجعة.[108]

لمّا أسندت آلية الاتصال كآلية، إلى النظام السياسي كنموذج تصوري للتفاعلات بين الحكام والمحكومين في أي دولة من الدول، نشأ ما يعرف بالاقتراب الاتصالي في علم السياسة. حيث يعتبر كأحد أهم الاقترابات المعينة على دراسة النظام السياسي خصوصا. ذلك ان المواطنين يحاولون توصيل رغباتهم ومطالبهم إلى القائمين على شؤون الحكم والسلطة. وبالمقابل يسعى الأخيرون إلى إيصال قراراتهم إلى الطرف الأول بغية نيل رضاهم وتأييدهم. ويؤكد الدكتور "إبراهيم البيومي غانم" أستاذ

---

[106] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 267.

[107] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي (الكويت: مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1985)، ص. 100.

[108] المرجع نفسه، ص. 101.

العلوم السياسية، بأن القرارات والنتائج المترتبة عليها تقوم في الأساس على المعلومات التي تنشأ بموجب عملية الاتصال بين كل فواعل النظام السياسي وبيئته الاجتماعية.[109]

وبشكل عام تتركز دراسة النظم السياسية وفق هذا الاقتراب حول السلوك والأفعال ذات الصلة بتبادل المعلومات عبر الرسائل الموجهة بين الحكام والمحكومين، والتي يمكن ذكرها في العناصر التالية:[110]

- **المرسل:** ويمكن أن يكون شخصا أو مؤسسة.
- **الرسالة:** وهي المعلومات المتدفقة من المرسل إلى المستقبل.
- **القنوات:** وهي الروافد التي تتدفق خلالها المعلومات (الرسائل) بين مكونات النظام السياسي.
- أنواع المعلومات التي تتضمنها الرسائل.
- القواعد والإجراءات التي تحكم الاتصالات داخل النظام.
- **المستقبِل:** وهو مجمل الجهات التي تتلقى المعلومات والرسائل، من أفراد وجماعات ومؤسسات وتنظيمات ودول أخرى.

انطلق دويتش إذن من افتراض مفاده أن جميع النظم متشابهة من حيث الخصائص الأساسية. فكل المنظمات ترتبط ببعضها بالاتصال، بل إن المنظمة ما هي إلا نظاما للمعلومات. والمعلومة هي هي علاقة منمطة بين الأحداث. والاتصال هو نقل هذه الأنماط من العلاقات، ومن ثم فهناك معلومة واتصال وقناة يجري من خلالها الاتصال.

وبالنسبة للنظم السياسية فإن المعلومة هي نمط من العلاقة بين الأحداث، تتدفق من خلال قنوات اتصال، يقوم النظام بتحليلها بعد أن تصل إليه، ثم يرد عليها. ومن ذلك فإن أهم المفاهيم التي اعتمدها دويتش دون تأويل أو تغيير من بعده هي:[111]

- مفهوم Information أو المعلومة، وهي وحدة التحليل الأساسية لتحليل النظم.
- مفهوم Load أي الحمل، وهو المعلومات والرسائل القادمة من البيئة إلى النظام، وكلما كان الحمل أثقل عسرت عملية التكيف والتفاعل معه.

[109] طه حميد حسن العنبكي و نرجس حسين زاير العقابي، مرجع سابق، ص. 73.
[110] المرجع نفسه، ص، ص. 73، 74.
[111] محمد نصر عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 268.

- مفهوم Lag وهي الفترة التي يستغرقها النظام ما بين استقبال الحمل والرد عليه، وكلما طالت المدة المذكورة فإن ذلك يعد دليلا على نقص الكفاءة وعدم القدرة على التكيّف مع البيئة.
- مفهوم Distortion وهي العملية التي تحدث للمعلومة منذ استلامها وحتى الرد عليها.
- مفهوم Gain وهو الرد ذاته على المعلومات، وهو أيضا ما يعرف بمقدار التغير الذي قام به النظام للتعامل والتكيف مع البيئة نتيجة الحمل الذي حمّلته إياه.
- مفهوم Feedback وهو الرد الذي يأتي من البيئة على التغيّر الذي يتضمنه مفهوم Gain السابق.

يلخص كمال المنوفي العملية الاتصالية التي تحدث في النظام السياسي قائلا: تتلقى أجهزة الاستقبال المعلومات (الرسائل) وتقوم بتحويلها إلى مركز القرار، وهذا الأخير يعتمد على ذاكرته Memory وقيّمه في التوصل إلى القرار الذي يبعث به إلى أجهزة التنفيذ التي تتخذ الأفعال الكفيلة بتنفيذه، وهذه القرارات والأفعال التنفيذية تثير ردود فعل تتلقاها أجهزة الاستقبال لتحولها بدورها إلى مركز القرار وهو ما يعرف بالتغذية العكسية.[112]

لأجل توضيح فكرة الاقتراب الاتصالي، يحاول الدكتور كمال المنوفي إسقاط مفاهيمه ومقولاته على حالة واقعية من ظواهر العلوم السياسية، حيث يعتبر العملية الانتخابية بمثابة نظام اتصالي. فالمرسل هو المترشح للمنصب السياسي، وما يطرحه من وعود في الحملة الانتخابية على المواطنين هو الرسالة، أما القناة فهي مجموعة روافد وقنوات مثل الصحف والقنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي، واللقاءت المباشرة في التجمعات والخطابات الشعبية. وأما المستقبِل فهم الجمهور بشكل عام في الدائرة الانتخابية. أما التغذية العكسية فتعتمد على نتائج العملية الانتخابية وكيفية التعاطي الشعبي معها سواء أكانت مواقف سلبية كعدم انتخاب المترشح، أو إيجابية كالإقبال الواسع على انتخاب المترشح للفوز بالعهدة الانتخابية.[113]

[112] كمال المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة (القاهرة: مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2006) ص. 42.
[113] كمال المنوفي، نظريات النظم السياسية (الكويت: وكالة المطبوعات، 1985)، ص. 73.

اقتراب اتخاذ القرار:

منذ الحرب العالمية الثانية شهدت دراسة القرارات تزايدا ملفتا للنظر، كيف لا والحرب بكل ما تحمله من دلالة وما يترتب عليها من تداعيات، هي أهم وأخطر **قرار سياسي** جريء يمكن للساسة اتخاذه. والسياسة كلها قرارات، وهذه الأخيرة هي مركز العملية السياسية. وفي هذا الصدد يقول دافيد إيستون: " إن القرار هو أهم أفراد وانواع مخرجات النظام السياسي التي توزع السلطة على أساسها القيم داخل المجتمع.

لقد انفرد علماء السياسة بالاهتمام بعملية صنع القرار، واعتنوا بها أشد العناية، وتفوقوا بذلك على باقي زملائهم في الفروع العملية الأخرى. وذلك لسبب بسيط هو أن علم السياسية قد جعل في آخر مرحلة من مراحل تطوره، القرار السياسي أو التوزيع السلطوي للقيم هو موضوع علم السياسة، بالتوازي مع السلطة.[114] ولا يدخل كل توزيع سلطوي للقيم في اهتمامات السياسة، فهناك توزيعات سلطوية للقيم وقرارات في أي مجتمع، لكن لا يصح اعتبارها سياسية.

إن علماء النفس مثلا يدرسون الدوافع الخفية وراء القرارات التي يتخذها الفرد والصعوبات التي يواجهها الأفراد في اتخاذهم لقراراتهم. أما الاقتصاديون فيبحثون في قرارات المستهلك أو المنتج أو المستثمر أو أي قطاع يؤثر على الاقتصاد. لكن علماء السياسة بالإضافة إلى تميّز مساهماتهم بالتنظيم والدقة، فإن طبيعة القرار الذي يتعاملون معه تضفي عليه أهمية زائدة. إنه القرار السياسي، الذي يعني الاختيار من بين مجموعة من البدائل التي ستوجه المجتمع بكل أطيافه داخليا وخارجيا.

مفهوم اتخاذ/ صناعة القرار السياسي:

يعتبر " ريتشارد سنايدر" مرجعا في صياغة وتطوير هذه المقاربة، ويعرّف عملية صناعة القرار السياسي بكونها سيرورة ما، ينتج عنها قرار معيّن من بين بدائل عدة يجري تعريفها اجتماعيا، وذلك بهدف التوصل مستقبلا إلى وضع معيّن كما يتخيله واضعو القرارات.[115] وإذا أردنا إسقاط المفهوم على قرارات الشأن السياسي، يمكن القول بأنها تمثل مجموع النشاطات والأفعال التي يقوم بها الواقعون داخل العلبة السوداء أو ذوي النفوذ السياسي، لمواجهة موقف أو مشكلة مستعصية بالاختيار من مجموعة من البدائل في الظروف العادية أو المتأزمة.

[114] عصام سليمان، مدخل لعلم السياسة، مرجع سابق، ص. 119.

[115] Richard C. Snyder et ad, foreign policy decision-making (New York : the free press of glence, 1962), p. 90.

إن أردنا إضفاء أكبر للطابع السياسي على القرار، لابد من أن نلقي نظرة على التعريف الذي قدذمه الأستاذ حامد ربيع، الذي أعتبر القرار السياسي بأنه نوع من الإعلان السلطوي عن أسباب التخلص من حالة من حالات التوتر من جانب الطبقة الحاكمة.[116]

ثم إن العلماء قد اجتهدوا في وضع معايير لتمييز القرار السياسي عن غيره من القرارات، ومنها:

- بنية القرار وطبيعته.
- المشاركون في القرار.
- المنظمة التي اتخذ فيها القرار.
- عملية صنع القرار.
- نتائج القرار.

إن الذي يضفي على أي قرار صفة السياسة هو أنه يندرج ضمن التوزيع السلطوي للقيم، مع ميزة خاصة وهي أن ذلك يتضمن عنصر الجبر والإذعان، أو القسر والطاعة. يؤثر هذا القرار على سلوك الجميع من محكومين وناخبين والمشرعين والتنفيذيين والسياسيين وقادة الجماعات الضاغطة وغيرهم من القوى في المجتمع السياسي. كما أن لعملية صناعة القرار السياسي بعدين، بعد داخلي هو الذي نحن بصدده، وبعد خارجي متعلق بتسيير شؤون الدولة في العلاقات الدولية.[117]

أهمية مقاربة اتخاذ القرار:

تكمن أهمية هذه المقاربة في الزاوية التي اختارت أن تقارب بها الظواهر السياسية، وينطلق البحث في إطار مقاربة صنع/ اتخاذ القرار من افتراض مؤداه أن السياسة تعني في النهاية سلسلة من صنع القرارات.[118] ورغم الباحثين المنظوين تحت لواء هذه المقاربة أقل ادعاء من غيرهم بأنهم يقيمون نظرية كلية أو شاملة، إلا أن هذا الاقتراب يلعب دورا هاما في كشف العديد من الجوانب الهامة في السياسة، كما أنها تفيد في البحوث التي تسعى لدراسة الأفراد – صناع القرار بشكل أفضل كثيرا من المقاربات والنظريات الأخرى. فلا يستطيع الطالب أو الباحث أن يدرس قرارا دون أن يكون ملما بمقاربة اتخاذ القرار.

[116] حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي (القاهرة: دار النهضة العربية، 1979)، ص.
[117] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، مرجع سابق، ص. 305.
[118] عبد الغفار رشاد القصبي، مناهج البحث في علم السياسة: الكتاب الأول (القاهرة: مكتبة الآداب، 2004)، ص. 219.

يصنّف اقتراب صنع/ اتخاذ القرار ضمن النظريات الجزئية Micro، وذلك لشدة تركيزه على جانب جزئي من جوانب النظام السياسي ككل، وبالتحديد على وحدات معيّنة معنية باتخاذ القرار. وهذا ما يجعل التحليل أكثر دقة وأكثر ارتباطا بالمنهج العلمي، وذلك لأن جمع المعلومات وتحليلها من قلّة من الأشخاص أسهل بكثير مما هو الحال في النظام السياسي ككل أو الجماعة أو المنظمة، أو حتى الدولة في العلاقات الدولية. وبعد تضييق دائرة البحث يتم تحديد عدد معين من المتغيرات المتعلقة بالموقف والسعي لتحديد العلاقة بين هذه المتغيرات لتحديد العوامل المسؤولة عن خروج القرار بهذا الشكل أو ذاك.

تنبع قيمة وأهمية اقتراب اتخاذ القرار كذلك من كون عملية صنع القرار السياسي بالمفهوم السابق ترتبط ارتباطا وثيقا بهرم السلطة، بل وتمتاز بقدر عال من الغموض والسرية، الأمر الذي قد يعيق البحث ويمنع استخدام المنهج العلمي إذا لم يكن الباحث على مقولات وافتراضات ومنطلقات اقتراب صنع القرار. حيث يقع الباحث أمام احتمالات غير مؤكدة، وتخمين يفتقر إلى اليقين. لتفادي هذا العائق جاء هذا الاقتراب كإطار فكري يساعد الباحثين والمحللين على التعرف على العوامل والمتغيرات التي تشكّل عناصر الموقف الذي يتخذ القرار في خضمه.[119]

متغيرات تحليل عملية القرار:

تتداخل العديد من المتغيرات والمفاهيم والمحددات لتشكل البيئة التحليلية لعملية صنع القرار، والتي ينبغي أن يدركها المحلل جيدا في إطار عملية التحليل والتركيب، الذي يسبق فهمها، وهي كما يلي:

1- وحدة اتخاذ القرار: وهي مجموعة الأجهزة المسؤولة عن اتخاذ القرار وما تشمله من أفراد، وإجراءات تنظيمية وقواعد ضابطة للسلوك. وهي تختلف من نظام سياسي إلى آخر.
2- بيئة صنع القرار (الموقف القراري): وتتداخل فيها ثلاثة أبعاد ومستويات للبيئة، هي البيئة النفسية المتكونة من مجموع القيم والمعتقدات والتوجهات والأيديولوجيات والتصورات والخبرات والآراء السابقة والدوافع والخلفيات والأحوال النفسية أثناء اتخاذ القرار. وهي متغيرات معنوية لا مادية يؤمن بها ويتبناها الفرد صانع القرار. ثم البيئة المادية الداخلية، وهي مجمل الأوضاع المتكونة من أبنية اجتماعية وأنساق ثقافية وقيمية، وتنظيمات سياسية كالأحزاب والجماعات المتعددة ووسائل التصال، وكذا المكونات الاقتصادية وحتى الرأي العام

[119] محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، مرجع سابق، ص. 157.

الداخلي وتاثيراته والموقع الجغرافي والسياسي، والوضع الطبقي وعلاقة الدولة بالمجتمع، ومدى شرعية النظام السياسي. وأخيرا البيئة الخارجية، وهي تشمل كل عناصر المستوى الإقليمي والدولي من مكونات تقع خارج حدود الدولة، والتي تتضمن سلوك الوحدات من دول ومنظمات وشركات اقتصادية وتجارية.

مراحل صنع القرار السياسي:

اجتهد العلماء في محاولة وضع قائمة من الخطوات والمراحل التي تصوّروا أن القرار السياسي يصنع عبرها وذلك بنيّة مساعدة المحللين من جهة والمقررين السياسيين من جهة أخرى. فقد صاغوا سلسلة من الإجراءات التي تنطبق على أغلب النظم في العالم ، وهي كما يلي:[120]

- تحديد المشكلة وجمع المعلومات حولها.
- وضع أفكار وتصورات حول المشكلة المطروحة وما ينبغي عمله لمواجهتها.
- تقدير آثار كل البدائل المطروحة لحلها.
- تنفيذ القرار الذي تم اتخاذه من قبل صناعه.
- تقييم القرار وفق معايير متبناة مثل المعلومات المتوفرة، ودرجة المشورة واهمي ةالقرار والحاجة لاتخاذه والآثار المترتبة عليه، وهل حقق الغاية المرجوة منه ام العكس؟.

وفي مساهمة اخرى لحصر مراحل اتخاذ القرار، يختصرها الدكتور حامد عبد الماجد فيما يلي:[121]

- المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل القرار: وتتضمن تعريف الموقف، ومكوناته، وخصائصه، ومآلاته. وتتدخل في هذه المرحلة جهات هامة كمراكز الدراسات والاجهزة الامنية ووسائل الإعلام، كما يمكن الاعتماد على ذاكرة وخبرات صناع القرار والأشخاص الأخرون الذين يمكنهم تقديم المساعدة، وقد يكون لكل هذه الاطراف دورا إيجابيا أو سلبيا في هذه المرحلة.
- المرحلة الثانية: وهي مرحلة اتخاذ القرار، وتعني اختيار بديل من البدائل بناء على النقاشات والمفاضلات وترتيب الأولويات عبرر تقويم كل بديل بما يترتب عليه من مكاسب وأضرار. وتتضمن هذه المرحلة كل أشكال اتخاذ القرار من مساومات وتنافس وصراع وتعاون وغيرها.
- المرحلة الثالثة: وتتعلق بتنفيذ القرار وتقويمه.

[120] كمال المنوفي، نظريات النظم السياسية، نقلا عن: طه حميد حسن العنبكي و نرجس حسين زاير العقابي، مرجع سابق، ص. 72.
[121] حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، (جامعة القاهرة: سلسلة الكتب الدراسية، 2000)، ص. 63.

2/ الاقترابات الدائرة في فلك مفهوم التمايز المجتمعي/ السياسي:

سبق أن ذكرنا بأن أغلب الاقترابات التحليلية المدرجة ضمن محتوى هذه المادة يمكن لها أن تصطفّ داخل مجموعتين كبيرتين. وتم اعتبار المجموعة الثانية هي تلك التي يمكن أن نطلق عليها المقاربات السائرة في فلك مفهوم الطبقة بتعبير الماركسيين. ومعلوم ان مفهوم الطبقة له دلالة معينة يريد إيصالها، وهي تلك التي تظهر في العنوان أعلاه. إنها فكرة التحليل المستند على وجود حالة التمايز بين مكونات المجتمع عموما والقطاع السياسي منه بالأساس.

إذن يعتبر التحليل الطبقي من أكثر النظريات السياسية التي يمكن أن تتخذ شكل النموذج المعرفي بالمعنى الذي توصل إليه "توماس كون". وبالنظر لكون هذا البناء النظري الطبقي مثيرا للإشكالات الإبستيمولوجية والمنهجية، فقد كان حافزا لإحداث العديد من التحويرات النظرية بداخله، أو من طرف الرافضين له، الساعون لإيجاد بديل يهدمه ولو إيديولوجيا. إن مقاربات كل من التبعية وعلاقة الدولة بالمجتمع أو الاقتصاد السياسي، وحتى الماركسية الجديدة، ما هي إلا امتدادات للمنظور الطبقي الأصلي بمسميات جديدة ومفاهيم مواكبة لمقتضيات المرحلة.

من الناحية المقابلة شكّل التحليل الطبقي الماركسي عموما حافزا لإثارة وتحرك آلة الفكر الغربي لإيجاد مقاربات ونظريات أخرى مثّلت في بعدها العلمي الإيديولوجي بديلا عن التحليل الطبقي في تحليل الظاهرة السياسية ، ومحاولة إزاحته كما ذكرنا. ولكن في بعدها الإبستيمولوجي كانت متأثرة به منطلقة من منطلقاته وافتراضاته الأولية، وتدور في فلكه المعرفي. وتبرز في هذه الحالة كل من مقاربات النخبة والجماعة على وجه الخصوص.[122]

[122] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 208.

الاقتراب الطبقي:

سبقت الإشارة إلى أن التحليل الطبقي، شأنه شأن التحليل النظمي يقتربان كثيرا من مفهوم النموذج المعرفي لتوماس كوهن، حيث طرح المنظور الطبقي إطارا مفاهيميا ونموذجا تفسيريا وبناء نظريا متكاملا، ولذلك اثار العديد من الإشكالات المعرفية والمنهجية، وبقيت الأبحاث فيه مفتوحة إلى اليوم.

بدأ التحليل الطبقي كاقتراب لتحليل النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع " كارل ماركس" ثم تم استخدامه من منظورات مختلفة مع كل من آدم سميت وماكس فيبر، وجوزيف شومبيتر وغيرهم. وكانت غاية هذا التحليل عبر العصور والرواد هو فهم وشرح أنماط **ثلاثية** التنافس الاقتصادي والصراع السياسي والتغير الاجتماعي.[123]

مفهوم الطبقة الاجتماعية:

تبلورت فكرة الطبقة عند ماركس من خلال معايشته طوال فترة شبابه بإنجلترا لتسارع الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر ، فهناك ظهرت **طبقة** عاملة في المدن، وفي القت ذاته شاهد كيف تتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء. واكتشف بأن الطبقة التي تهيمن على النظام الاقتصادي هي التي تهيمن على النظام السياسي في ظل الرأسمالية الغربية. فقاده ذلك رفقة زميله " أنجلز" إلى استنتاج أن كل حقبة تاريخية تتضمن قوى أو طبقات متصارعة ينبثق من صراعها نظام جديد، وهي ما يعرف بالجدلية المادية. والتاريخ عنده كله هو عبارة عن صراع بين الطبقات حاكمة ومحكومة.

إن جوهر فكرة الطبقة نابع من دراسة ماركس للمجتمع وتحولاته **ويتضمن ذلك الجوهر ما يلي:**

الفكرة " الطبقة الحاكمة" ونقيضها " الطبقة المعارضة" والفكرة المركبة " نظام اقتصادي واجتماعي وسياسي جديد".[124] وبالتالي ينظر ماركس للظاهرة السياسية بأنها نتاج للقوى الاقتصادية المبنية على فكرة الطبقة كما هو موضح.

كتعريف نموذجي تعني الطبقة الاجتماعية كمفهوم، انقسام اجتماعي على أساس عوامل اقتصادية أو اجتماعية، وكتجسيد تعني الطبقة مجموعة من الناس يشتركون في نفس الموقع أو الوضع

[123] نصر محمد عارف، مرجع سابق، ص. 210.
[124] جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 171.

الاجتماعي والاقتصادي.[125] ذلك أن البشر ينزعون إلى التفكير والحركة معا مع أولئك الذين يشتركون معهم في الموقع أو المصلحة الاقتصادية. وبالتالي يلاحظ أن مفهوم الطبقة ضمن هذا الاقتراب يطغى عليه المعنى المادي، أو يكون البعد المادي هو أحد مكوناته الأساسية على الأقل.

منطلقات التحليل الطبقي للظواهر السياسية:

يعتبر انصار الاقتراب الطبقي بأن الطبقة هي وحدة التحليل، وأنها تمثل عنصرا مفسرا وشارحا للظواهر السياسية، كالسلوك الانتخابي والاحتجاجات السياسية والثورات الشعبية، والتحولات الاجتماعية والسياسية المختلفة.

إن الطبقة الاجتماعية تمثل أداة تحليلية، وذلك أن الطبقات - وليس الأفراد- هي الفواعل الرئيسية في التاريخ. ولذا تقدّم الطبقة مفتاحا لفهم التغيير الاجتماعي والسياسي.[126]

كما أن الطبقة الاجتماعية أو الوضع الطبقي السائد في المجتمع يمثّل المتغير المستقل، في حين يمثّل النظام السياسي المتغير التابع. فمن أراد فهم أو تفسير العملية السياسية برمتها أو بعض من مخرجاتها، أو التوزيع السلطوي لكل القيم في المجتمع، لا مناص له من الإحاطة بمفهوم الطبقة والتعمق في دراسة الوضع الطبقي. ذلك ان اكتشاف الطبقة في حد ذاته يعد مفتاحا للحل بامتلاكه قدرة تفسيرية تفتقر إليها الاقترابات الأخرى.[127]

كما أن الملامح الأساسية للحياة السياسية في العالم المعاصر يمكن فهمها بلغة ومفردات العلاقات بين القوى الطبقية المتصارعة. بل إن الدولة في في الفلسفة الماركسية لا تعدو ان تكون أداة قمع في يد الطبقة الحاكمة.[128]

نقد ومناقشة الاقتراب الطبقي:

رغم ذيوع صيت اقتراب الطبقة في الدراسات النظرية المشتغلة على حقل السياسة الداخلي، إلا أنه لم يتم قبول الطبقة الاجتماعية كملمح ضروري أو دائم للمجتمع. فقد حدث فعلا – حتى داخل المجتمعات الاشتراكية- تقليص الفوارق الطبقية بدرجة هائلة. فتحرّرت الطبقة العاملة من هويتها الطبقية بعد تحرّرها التدريجي من استغلال الرأسمالية.

[125] أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة، محمد صفار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2012)، ص. 134
[126] أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، مرجع سابق، ص. 135.
[127] محمد شلبي، مرجع سابق، ص. 187.
[128] محمد طه بدوي، مرجع سابق، ص. 56.

على كل حال، لقد تراجعت الصلة بين الاشتراكية والسياسات الطبقية منذ أواسط القرن العشرين نتيجة انخفاض مستويات التضامن الطبقي. كما أن تراجع السياسات الطبقية يرجع بقدر ما إلى عملية التخلص من الصناعات Deindustrialisation الذي أدى بدوره إلى تراجع الصناعات كثيفة العمل كالصلب والفحم وغيرهما. فلم يعد مشكل الصراع الطبقي الاقتصادي مطروحا بشدة.

بالموازاة مع هذا الواقع، كان لابد أن تنخفض أصوات المنظرين من رواد الاقتراب الطبقي، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك الهجمة الشرسة من طرف المنظرين الليبراليين الرامية لإيجاد بديل تحليلي لمفهوم الطبقة، أين برز كل من اقتراب النخبة والجماعة كبديل أيديولوجي قبل البديل المنهجي والعلمي.

اقتراب النخبة:

يرتكز مجال البحث في هذا الاقتراب على جوهر السياسية، بمعنى انه يتجه صوب مقومات هذا الجوهر والتي من أبرزها على الإطلاق التمايز السياسي، وعلاقة الأمر والطاعة. هذا بالنسبة لعلم السياسة الداخلي، أما في العلاقات الدولية، فيتمثل جوهر السياسة في علاقة الصديق والعدو. بالعودة إلى الشأن السياسي الداخلي فإن جوهر السياسة في الإنسان يؤدي به إلى نشوء عالم مبني على علاقات تميّز بين الآمر والمطيع داخل المجتمع السياسي. وهذا التميّز يختلف عن صور وأوجه التميّز الاجتماعي الأخرى كالتميّز بالتملك والتميّز الطبقي والتميّز الديني وغيرها.

وليس من إنسان في العالم يستطيع التفلّت في تلك المجتمعات من الانتماء إلى فئة من تلك الفئتين أمر أو مطيع، أي حاكم أو محكوم.[129] وما من مجتمع مهما كان مستواه من التطور، لا يخلو من أقلية تسيطر وتحكم، وأكثرية تخضع لحكمها. ويطلق على تلك الأقلية المتنفّذة اسم " النخبة أو الصفوة Elite "

مفهوم النخبة/ الصفوة السياسية:

ظهر مفهوم النخبة على أيدي مجموعة من المفكرين الغربيين منهم: " فلفريدو باريتو، وجيتانو موسكا، وورروبرتو ميشلز، ورايت ميلز، وبرنهام".[130] وتوجد تعاريف عديدة لمفهوم النخبة السياسية بنيت على أسس تنظيمية، أو نفسية، أو مؤسسية، أو اقتصادية. أو حددت على أساس مزايا نفسية

[129] محمد طه بدوي، مرجع سابق، ص، ص. 25، 26.
[130] محمد شلبي، مرجع سابق، ص. 205.

وعقلية، أو بانتماءات لمؤسسات ذات أهمية في المجتمع، أو بامتلاك الثروة والقوة الاقتصادية وغيرها.[131]

حتى لا يختلط التحليل السلوكي الغربي بالتحليل الطبقي الماركسي، لا بد من تضييق مجال البحث في مفهوم النخبة السياسية وقصره على مقتضيات التصنيف المعتمد في محاور هذه المادة. إذ ترتبط النخبة المقصودة هنا ارتباطا وثيقا بالمفهوم الغربي الذي يسلّم بتعدد النخب في المجتمع والمنافسة المنظمة بينها للوصول إلى الحكم بالطرق المتعارف عليها ليبراليا.[132] رغم ان " محمد طه بدوي" يسميها بالأوليغارشية، أين تكشّفت – حسبه- الحقيقة الكامنة خلف واجهات الديمقراطيات الغربية، حيث انتهت واقعيا إلى مجرد اوليجارشيات. فما من مجتمع – بما فيه المجتمعات الغربية- إلا والحكم فيه للقلة. وحتى داخل الاحزاب هناك قلة تسيطر على مواقع القيادة فيها وتظل قابضة عليها.[133]

كخلاصة في تعريف المفهوم يمكن القول غن النخبة هي الأفراد المهيمنون على عملية صنع القرار السياسي، ورسم سياسات المجتمع بوجه عام. أو هي مجموعة صغيرة نسبيا، منظمة بشكل عضوي، تمارس السلطة بشكل شرعي أو غير شرعي، ظاهر او خفي، او تطالب بحقها في ممارستها على الجماعات الأخرى التي ترتبط بها في علاقات سياسية أو ثقافية.[134]

منطلقات وافتراضات اقتراب النخبة:

هناك العديد من الأسئلة البحثية الجوهرية التي يمكن أن تكون سببا في استحداث اقتراب النخبة، مثل: من يحكم المجتمع؟ وما هي الخصائص العامة لهؤلاء الحكام؟ وكيف تحافظ هذه المجموعة من الحكام على موقعها في هرم السلطة؟ وما هي علاقتها بباقي المجتمع؟

والفكرة العامة لرواد اقتراب النخبة هي أن البشر غير متساوين بل ومختلفون بصورة حادة وفق مفهوم التمايز السياسي سابق الذكر. مما يخلق انقساما عضويا إلى شريحتين طبقا للقيمة الشخصية هما: الشريحة الدنيا، وهي ليست بنخبة وأقل ذكاء. والشريحة العليا، وهي النخبة والاعلى ذكاء. وهذه الاخيرة تنقسم بدورها إلى النخبة الحاكمة والنخبة غير الحاكمة.[135] وإن النخبة الحاكمة توجد في كل

[131] عبد الغفار رشاد القصبي، مرجع سابق، ص. 217.
[132] المرجع نفسه، ص. 217.
[133] محمد طه بدوي، في النظرية السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص. 124.
[134] محمد شلبي، مرجع سابق، ص. 207.
[135] نصر محمد عارف، مرجع سابق، ص. 226.

المجتمعات التي تتميز بأنها أقلية من حيث العدد، لكنها أكثر تنظيما وتحكما في القوة السياسية والقرار السياسي.

ومن أهم الافتراضات التي يقوم عليها هذا الاقتراب في تحليل الظواهر السياسية، يمكن إيجاز ما يلي:[136]

- تبعية الظاهرة السياسية وعدم استقلاليتها.
- انقسام المجتمع إلى فئتين.
- تركيز القوة في يد أقلية وعدم انتشارها في المجتمع.
- تباث المجموعة التي تقبع خلف من يمسكون بزمام السلطة.

اقتراب الجماعة:

يعود أصل ابتكار اقتراب الجماعة إلى العالم الأمريكي " آرثر بانتلي" عام 1907، لكن اشتهار هذا الاقتراب والمفهوم في الوقت ذاته كان على يد " ديفيد ترومان" عام 1951.

لقد تزامن بروز اقتراب الجماعة مع التطور الذي بدأ يحصل آنذاك في منهجية البحث الاجتماعي عموما، وعلم السياسة على وجه الخصوص كان قد انتقل نقلة نوعية سواء على مستوى المناهج المتبعة لدراسة الظاهرة السياسية، أو على مستوى موضوع علم السياسة نفسه، وذلك بانتقاله من علم للدولة إلى علم السلطة والقوة بكل أشكالها وفي كل الجماعات بما فيها جماعة الدولة.

من نتائج هذا التحوّل المنهجي والموضوعي، أن دخل علم السياسة مرحلة العلم السلوكي الديناميكي، الذي يهتم بالبعد السلطوي في الإنسان في شتى المؤسسات والجماعات. فلم يعد الجانب السياسي يمارس ضمن جماعة الدولة فقط أو في بعده الستاتيكي، بل في كل الجماعات مهما كان موقعها في المجتمع بشرط أن تكون تفاعلاتها من طبيعة سياسية أو ذات تأثيرات سياسية على الأقل. وبذلك توسع مجال علم السياسة. فكان لابد من وجود اقترابات تحليلية تواكب هذا التحوّل الكبير وغير قابل للتجاهل.

ارتباطا ما جاء في تقديم هذه الاقترابات وما تم التوافق عليه أعلاه في تصنيفها، جاء اقتراب الجماعة ليشكّل بديلا تحليليا للماركسية، وبالضبط لاقتراب الطبقة، مثلما هو الشأن بالنسبة

[136] محمد شلبي، مرجع سابق، ص، ص. 208، 209.

لاقتراب النخبة وغيرها من الاقترابات الليبرالية. فالجماعة والنخبة صنوان كما هو معلوم. ولو أن الجميع بما فيها اقتراب الطبقة تنظر إلى الظاهرة السياسية عبر التفاعل الاجتماعي.

مفهوم الجماعة:

تتشكل الجماعة عندما يسعى الأفراد إلى التكتّل فيما بينهم. وفي مجال علم الاجتماع السياسي، يشترط في تعريف الجماعة أن تكون لها أهداف سياسية لكي تأخذ المعنى المقصود في هذا الاقتراب، فالجمعاة عند " دافيد ترومان " هي كل تنظيم يتشكّل بهدف البحث عن التأثير في السلطة السياسية مستخدما المزايا الاجتماعية التي يتمتع بها"[137]

تتنوع هذه الجماعات ما بين جماعات تقليدية قائمة على علاقات الدم والقرابة، أو المصالح والأفكار، أو الهدف الواحد، وقد تأخذ شكل جماعات المصالح. كما قد تقوم على اساس إقليمي وإيديولوجي. وبالإضافة إلى أساس الانتماء العرقي والطبقي واللغوي والطائفي، الذي تتشكّل بواسطته الجماعة، يمكن أن تنشأ أيضا في الوسط المهني والعمالي.[138]

وفي أحد أهم أنواع الجماعات في حقل السياسة، والذي يتوجه إليه جهد الدراسة في هذه المادة، يضع " جان ماري دانكان" شروطا لتعريف جماعات الضغط، قائلا: " لكي يكون بالإمكان وصف مجموعة ما بأنها جماعة ضغط، يجب أن تتوفر فيها بعض السمات، أهمها حداّ أدنى من التنظيم، كما يجب على الأفراد الذين يمارسون ضغطا سياسيا أن يفعلوا ذلك من أجل هدف خاص بهم. ثم إن على مجموعة الضغط أن تشكّل مركزا مستقلا للقرار ولا تكون مجرد أداة تدار من قبل منظمة أخرى. وأخيرا يجب على المجموعة أن تمارس ضغطا فعليا على صانع القرار.[139]

فباللإضافة إلى أساس تكوين الجماعة، يذكر الباحثون مجموعة العوامل التي تتحكم في نجاح الجماعة، أهمها الطابع الرسمي وغير الرسمي، وقدرة الجماعة على التماسك والتكيّف والاستمرار، نشاطها وأدواتها الحركية، مساندتها أو معارضتها للنظام السياسي، حجم تأثيرها ودورها السياسي، دون إغفال درجة تأثيرها على أعضائها وعلى الجماعات الأخرى، وعلى النظام السياسي والاجتماعي عامة.[140]

افتراضات اقتراب الجماعة:

---

[137] Philip Braud, sociologie politique (Alger : Casbah editions, 2004), p. 317.

[138] عبد الغفار رشاد القصبي، مرجع سابق، ص. 215.

[139] جان م دانكان، **علم السياسة**، ترجمة محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997)، ص. 316.

[140] عبد الغفار رشاد القصبي، مرجع سابق، ص. 115.

يؤدي اقتراب الجماعة وظيفتين في الوقت ذاته، فهو عبارة عن رد فعل على الاقترابات التقليدية منجهة، وبديل عن اقتراب الطبقة يريد وقف زحفه وإزاحته بسبب مضامينه الأيديولوجية الماركسية.

أبرز مقولات هذا الاقتراب هي أن العملية السياسية تعتبر نتاج تفاعلات اجتماعية رسمية وغير رسمية. كما ان هذه التفاعلات تعبّر عن انقسام المجتمعات إلى مجموعات يحكمها الصراع والتعاون من أجل السيطرة على صناعة السياسات. وبذلك قد تصبح الجماعة هي مفتاح تشخيص وتفسير الظواهر السياسية. ولاقتراب الجماعة منطلقات وافتراضات تفسيرية شهيرة هي:

- إن الجماعة هي وحدة التحليل التي يمكن أن ينطلق منها الباحث في دراسة الظواهر السياسية.
- يتم النظر إلى المجتمع أو مفهوم المجتمع على أنه شكل فسيفسائي من الجماعات المتعددة في حالة من التعاون والصراع.
- النظام السياسي بمعناه الواسع هو عبارة عن مركب معقد من الجماعات المتفاعلة فيما بينها باستمرار حيث يتضمن هذا التفاعل أشكالا من التدافع بين الجماعات أو الضغط والضغط المضاد الذي يحدد حالة النظام السياسي في وقت معين.
- الصراع بين الجماعات المتفاعلة في بيئة النظام ومعه، هو الذي يقرر من يحكم، ومن تم فإن التغيير الذي يطرأ على تكوين الجماعات وعلاقاتها يؤثر في النظام السياسي وفي تغيره.
- يتوقف تأثير الجماعة في أعضائها على شدة انتمائهم من جهة، واهتماماتها بالموضوعات السياسية من ناحية أخرى.
- يتوقف تأثير الجماعة في النظام السياسي على عناصر القوة بالنسبة إلى الجماعة (المال، العدد، المكان، التنظيم...). وعلى طبيعة النظام السياسي، وعلى العلاقة الموجودة بين النظام والجماعة.

في الاخير يمكن التنبيه إلى أنه بالرغم من الإسهامات الإيجابية لاقتراب الجماعة في فتح آفاق جديدة للبحث السياسي لم تكن مطروقة قبله، إلا أنه أغفل دور الأفراد والمؤسسات في والأوضاع السائدة في دراسة الظواهر السياسية. كما أن الاقتراب لا يسعى إلى محاولة الربط بين المتغيرات من أجل الوصول إلى نتائج سببية قد تكون أرضية نحو التعميم.

اقتراب الاقتصاد السياسي:

إذا كانت الاقترابات التحليلية في الغالب هي زوايا نظر يتبناها أصحابها لدراسة موضو ما او ظاهرة معينة، فإن مدى هذه المقاربات قد يتسع ليحمل اسم تخصصا بأكمله، مثل قولنا الاقتراب القانوني، والاقتراب التاريخي، وغيرهما. ولكن الأمر قد لا يتوقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى إمكانية اعتبار تخصصا أو فرعا أو جانبا كاملا من جوانب الحياة الاجتماعية عاملا محددا لقطاع كامل، وهنا يضرب المثال باقتراب التاريخ السياسي أو الجغرافيا السياسية. وفي الواقع لا يخفى على طالب علم السياسة معنى عبارة "العلوم السياسية بصيغة الجمع"، والتي من أسباب احتفاظها بقوتها الدلالية هو الترابط الوثيق بين علم السياسة والفروع العلمية الأخرى التي تنشأ من ذلك الترابط. في موضوعنا هذا ينصرف الحديث إلى تخصص الاقتصاد السياسي، الذي اتخذ منه علماء السياسة اقترابا مستقلا بذاته.

ففي علاقة علم السياسة بالاقتصاد، يدعي بعض الاقتصاديين بأن الاقتصاد هو موضوع الاهتمام الرئيسي للسياسة. يعتبر هذا الادعاء صحيحا إذا ما تم إدراك أن العديد من الخلافات السياسية هي اقتصادية بالأساس، وإن تعريف " هارولد لاسويل" للسياسة بكونها من يحصل على ماذا؟ فالموقع الذي تحتله المشاكل الاقتصادية والمالية في نشاط الدولة هو دليل على العلاقة المتينة بين الاقتصاد والسياسة.[141]

يعد التحليل الماركسي للظواهر السياسية تحليلا اقتصاديا بامتياز. فالجدلية المادية عند الماركسيين ترتكز على كل ما له علاقة بالاقتصاد من وسائل الإنتاج إلى العمل والطبقة العاملة وغيرها. لذلك يكون ماركس قد تناول السياسة وظواهرها من مدخل الاقتصاد على أساس أن الظواهر السياسية تتشكّل بفعل البنية التحتية ممثلة في الحقائق الاقتصادية.

يرجع البعض سبب بروز هذا الاقتراب، إلى محاولات أصحابه القيام بردة فعل يتجاوزون بها محدودية الدراسات الأولى في **التنمية السياسية**، وخاصة في بداية عقد الخمسينات من القرن العشرين، التي تميزت بالتجاهل التام تقريبا **للمتغيرات الاقتصادية**. وفي هذا السياق كذلك يبرّر البعض الآخر هذا التجاهل غير المقصود بظروف المرحلة التي تميزت بوجود حدود فاصلة بين التخصصات العلمية كعلمي الاقتصاد السياسة. يضاف إلى ذلك عاملا أيديولوجيا آخر مهما، حيث

[141] عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، مرجع سابق، ص. 68.

كان من الطبيعي ومن المفترض أن يحدث استقلالا وقطيعة تحليلية وواقعية بين المتغيرات السياسية والاقتصادية، لأن ارتباطهما معا كان يعد فكرة ماركسية.[142]

في مرحلة الموجة السلوكية، نشأ اتجاها يسعى لاستخدام الاقتراب نفسه تقريبا، والذي من مقولاته الأساسية أن النظم السياسية ترتبط ارتباطا وثيقا بمستويات التنمية الاقتصادية.[143] كيف ذلك؟ يجيب أنصار هذا الاقتراب بأن تحقيق مجموعة من الشروط الاقتصادية هي سبب أساس لتحقيق الديمقراطية السياسية، ويذكر محمد نصر عارف تلك الشروط كما يلي:

- وجود اقتصاد أكثر توجها نحو السوق.
- مستوى اقتصادي وتكنولوجي عال.
- تقاليد ثقافية أكثر تسامحا وأقل انغلاقا وأكثر قابلية للحلول الوسط.
- مستوى عال من التعليم.
- درجة عالية من التمدن.
- تعددية اجتماعية بما فيها طبقة بورجوازية قوية ومستقلة.

ويذكر الباحث نفسه بأن أصحاب هذا الاقتراب يرون بأن اجتماع خليط من هذه العناصر والشروط، يعد سببا رئيسيا لوجود ديمقراطية سياسية، ومن تم تحقيق التنمية. فكأن التنمية الاقتصادية وفق مقولات هذا الاقتراب، هي المتغير المستقل الذي يؤثر على التنمية السياسية وجودا وعدما.

وفيما يشبه العلاقة بين اقترابي الجماعة والطبقة، ومركزية العامل الإيديولوجي في ذلك، فإن استقلال المتغيرات السياسية عن الاقتصادية كان امرا مفترضا، بل ومنتظرا بصورة قوية، لأن ارتباطهما مرتبط بالماركسية، وهو الأمر الذي كانت ترفضه الكتابات الغربية الليبرالية. وإذا تم التسليم بهذا هذا الأمر فإن اعتبار ظهور اقتراب الجماعة هو مجرد رد فعل من الباحثين الغربيين ضد اقتراب الطبقة الماركسي، سيكون أكثر تقبلا وتسليما من باب أولى. فمن أجل إعطاء اقتراب الاقتصاد السياسي صفة العمومية والقبول تم نفي صفة الماركسية عنه، وتم ربطه بالاقتصاديين غير الماركسيين أمثال

[142] نصر محمد عارف، الاتجاهات المعاصرة في السياسة المقارنة (عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2006)، ص.25
[143] نصر محمد عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، ص. 306.

آدم سميت، وديفيد ريكاردو، وجون لوك.[144] أي بالطريقة نفسها التي تم التعامل بها مع اقتراب الجماعة.

لقد اعتبرت إسهامات الاقتصاد السياسي أسلوبا جيدا لتطوير نظرية الفعل الرشيد التي تعد من أفضل الوسائل لتحليل وفهم السلوك السياسي. وذلك باعتبار أن الرشادة أو العقلانية يتجه معناها دوما صوب الكلفة والعائد ذواتا البعد الاقتصادي بالأساس.

خاتمـــــــة:

في ختام هذه المطبوعة، يمكن التذكير بفكرة أساسية بنيت عليها محاضرات هذه المادة، وانطلقت منها بعد انشطارها إلى محورين تفرّعت عنهما كل العناصر الضرورية التي ساهمت في صقل تكوين الطلبة، وإكسابهم مهارات جديدة لا غنى عنها في تكوينهم القاعدي في منهجية البحث العلمي.

إن التحديد السلبي لمكونات هذه المطبوعة بدلالة عناصر المنهجية وأبعادها، يحيلنا إلى القول بأن هذه المحاضرات لا تنتمي إلى البعد الشكلي للمنهجية المتعلق بالمراحل الأخيرة من إعداد البحوث العلمية لإخراجه في شكل لائق، ولا إلى البعد الإجرائي الخالص المتعلّق بعمليات وأدوات جمع المعلومات في البحوث الميدانية، **وإنما** كانت في أولها وآخرها من متطلبات المنهجية الموضوعية المتعلّق بطريقة التفكير سواء من حيث المناهج المتبعة أو المقاربات التحليلية المختارة لحل المشكلات البحثية.

يستلزم من التخصص في المنهجية الموضوعية ضرورة التوسّع في موضوع الملاءمة المنهجية. إن تحرّي الملاءمة المنهجية لهو أمر لا غنى عنه لكل ممارس علمي سواء كان طالبا، أو باحثا، أو أستاذا، خاصة في ظل التعدد والتنوع في كل ما له علاقة بالأدوات والمناهج والاقترابات والنظريات المتوفرة في حقل العلوم السياسية. أين يجد الباحث نفسه تائها بين آلاف المراجع التي تحوي مئات المواضيع التي تعج بها فهارسها، خاصة منها تنوع المناهج والأسايب والطرق، والمقاربات المداخل والنظريات، التي يقف معها الطالب حائرا تائها. فليست العبرة بكثرة المكتسبات المتلقية، ولكن الأهم من ذلك، براعة انتقاء الملائم منها، وحسن توظيفها عند الحاجة إليها.

[144] محمد نصر عارف، إبستيمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص. 318.

قائمة المراجـــــــــــــع

- **الكتب بالعربية:**

01- مروان عبد المجيد إبراهيم، **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية** (عمان: مؤسسة الوراق، 2000).

02- أبو بكر مصطفى محمود واللحلح أحمد عبد الله ، **مناهج البحث العلمي** (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2009)

03- أنجرس موريس، **منهجية البحث في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية** (ترجمة) بوزيد صحراوي وأخرون (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2010).

04- أبو بكر مصطفى محمود واللحلح أحمد عبد الله ، **مناهج البحث العلمي** (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2009).

05- الأنصاري فريد، أبجديات **البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي** (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، 1997).

06- بادي برتراند وهيرمت غي، **السياسة المقارنة** (ترجمة) عز الدين الخطابي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)

07- باشلار غاستون، **العقلانية التطبيقية**، (ترجمة) بسام الهاشم، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1984)

08- بدر أحمد ، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط.9 (القاهرة: المكتبة الاكاديمية، 1996).

09- بدوي عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي** (الكويت: وكالة المطبوعات، 1977)،

10- بدوي محمد طه، **النظرية السياسية** (الإسكندرية: المكتب المصري الحديث، د ت).

11- البستاني السعيد يوسف، **المنهجية والفضائل العلمية في الدراسات العليا والأبحاث الجامعية: قانون البحث العلمي** (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2014)

12- بكر عبد الجواد، **منهج البحث المقارن: بحوث ودراسات** (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2002).

13- بوحوش عمار والذنيبات محمد ، **مناهج البحث العلمي: أسس وأساليب** (الزرقاء: مكتبة المنار، 1989).

14- جلبي علي عبد الرازق، **المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2012).

15- جيدير ماثيو، **منهجية البحث**، (ترجمة) ملكة أبيض (د ب ن: د د ن، 2015).

16- حتي يوسف ناصيف ، النظرية في العلاقات الدولية. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985).

17- نجيب الحصادي، نهج المنهج، (مصراطة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، د ت)

18- خضر عبد الفتاح، **أزمة البحث العلمي في العالم العربي**، ط.2 (الرياض: مكتب صلاح الحجيلان للمحاماة والاستشارات القانونية، 1992).

19- دانكان جان ماري، **علم السياسة**، (ترجمة) محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997).

20- دورتي جيمس وبالستغراف روبرت ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي (الكويت: مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1985)

21- دويدار عبد الفتاح محمد، **مناهج البحث في علم النفس** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د ت).

22- الدجاني محمد سليمان، والدجاني منذر سليمان ، **منهجية البحث العلمي في علم السياسة** (عمان: دار زهران للنشر، 2008)

23- ربيع حامد، نظرية التحليل السياسي (القاهرة: دار النهضة العربية، 1979).

24- سميت ستيف ، "التنوعية والتعددية في نظرية العلاقات الدولية،" في: تيم دان وآخرون (محررون)، **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**، (ترجمة) ديما الخضرا (الدوحة: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2016)،

25- السيد محمد أحمد، **التمييز بين العلم واللاعلم: دراسة في مشكلات المنهج العلمي** (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2015)

26- الشريف عبد الله محمد، **مناهج البحث العلمي: دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية** (الإسكندرية: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، 1996)

27- شلبي محمد، **المنهجية في التحليل السياسي** (الجزائر: دار هومة، 2002).

28- صابر عوض فاطمة وعلي خفاجة ميرفت ، **أسس ومبادئ البحث العلمي** (الإسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية، 2000).

29- الطائي مصطفى حميد وخير ميلاد أبو بكر، **مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الإعلام والعلوم السياسية** (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007).

30- عاطف علبي، **المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية** (بيروت: المؤسسة الدامعية للدراسات والنشر، 2006).

31- عارف نصر محمد، " تقديم" في: نصر محمد عارف (محررا) **قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والإجتماعي**ة (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)

32- عارف نصر محمد، **إبستيمولوجيا السياسة المقارنة** (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002).

33- عارف نصر محمد، **الاتجاهات المعاصرة في السياسة المقارنة** (عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2006)

34- عبد الماجد حامد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، (جامعة القاهرة: سلسلة الكتب الدراسية، 2000)

35- عبد الخالق فوزي، وشوكات علي إحسان، **طرق البحث العلمي المفاهيم والمنهجيات وتقارير نهائية** (طرابلس: المكتب العربي الحديث، 2007).

36- عبيدات محمد وآخرون، **منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات** (عمان: دار وائل للنشر، 1999).

37- العثيمين محمد بن صالح ، **شرح الأصول من علم الأصول**، (تحقيق) خيري سعيد، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2002).

38- عقيل حسين عقيل، **فلسفة ومناهج البحث العلمي** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999).

39- العلوي محمد جمال الدين ، منهج البحث العلمي في علم السياسة (الموصل: الشاملة للطباعة والاستنساخ، 2012)

40- العنبكي طه حميد حسن و العقابي نرجس حسين زاير ، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2015).

41- عوض صابر فاطمة وخفاجة ميرقت علي، **أسس ومبادئ البحث العلمي** (الإسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية، 2000).

42- عيسى سلطان و العبيدي غانم، **أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق** (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1984)

43- الفضلي عبد الهادي ، **أصول البحث** (بيروت: دار المؤرخ العربي، 1993).

44- قاسم محمد محمد، **المدخل إلى مناهج البحث العلمي** (بيروت: دار النهضة العربية، 1999)

45- القصبي عبد الغفار رشاد ، مناهج البحث في علم السياسة: الكتاب الأول (القاهرة: مكتبة الآداب، 2004)

46- قنديلجي عامر، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات**، (عمان: دار اليازوري العلمية، 1999).

47- قنديلجي عامر إبراهيم والسامرائي إيمان، **البحث العلمي الكمي والنوعي** (عمان: دار اليازوري، 2018)

48- نصار جابر جاد، **أصول وفنون البحث العلمي**، ط.3 (القاهرة: دار النهضة العربية، 2005)

49- العبيدي بشار عواد معروف، " مفهوم المنهج وأنواعه"، **ندوة مناهج البحث العلمي** (الشارقة: المنتدى الإسلامي للشارقة).

50- مخوخ فؤاد، من **نقد العقل إلى هيرمينوطيقا الرموز: بحث في فلسفة الثقافة عند إرنست كاسيرر** (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،).

51- مسعد محيي محمد، **كيفية كتابة الأبحاث والإعداد للمحاضرات**، ط. 2 (الإسكندرية: المكتب العربي الحديث، 2000).

52- سليمان عصام، **مدخل إلى علم السياسة** (بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1989).

53- عمر معن خليل، **مناهج البحث في علم الاجتماع** (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004).

54- ليلة علي، **بناء النظرية الاجتماعية**، (القاهرة: المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع).

55- المنوفي كمال، **مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة** (القاهرة: مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2006).

56- موي بول، **المنطق وفلسفة العلوم**، ترجمة، فؤاد زكريا (الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1981)

57- هيود أندرو، **مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية**، ترجمة، محمد صفار(القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2012).

- **الكتب باللغات الأجنبية:**

58- Braud Philippe, **Sociologie politique** (Alger : Casbah editions, 2004).

59- Easton David, **Analyse du système politique** (Paris : Armond Colin, 1974).

60- Goertz Gary**, social science concepts a user's guide** (Oxford : Princeton University press, 2005).

61- Mongeau Pierre, **realiser son mémoire ou sa these (** Quebec : Presses de L'université du Québec, 2008)

62- Kothari, C.R., **Research Methodology methods and techniques**, 2ed ed (New Delhi: New age international (p) limited, publishers, 2004).

63- Kumar, Ranjit, **Research methodology: a step by step for beginners**, (London : SAGE publications Ltd, 3rd ed, 2011)

64- Pennings Paul, Keman Hans and Kleinnijenhuis Jan, **Doing research in political science: an introduction to comparative methods and statistics** (London: Sage publications, 2006)

65- Singer David, « The level of analysis problem in International relations » in, James Rosenau (ed), **International relations and foreign policy** (Free press, 1969).

66- Snyder Richard C et ad, **foreign policy decision-making** (New York : the free press of glence, 1962).

67- Waltz Kenneth N., **Theory of International politics**, (California : Addition-Wesley publishing company, .1979).